روائع المسرح العالمى

٤٦

آل باريت

من شارع وسبول

تأليف رودلف بينيه

ترجمة محمد شاهين الجوهرى

مراجعة الدكتور عبدالله عبدالحافظ سولى

تقديم دريني خشبة

وزارة الثقافة والإرشاد القومى

المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مقدمة

بطلة هذه المسرحية الضاحكة المفجعة : اليزابث باريت (١٨٠٦ — ١٨٦١) أديبة وشاعرة انجليزية مشهورة ، بل طائرة الذكر ، لها ديوان من الشعر الانجليزى الثائر لا يقل شهرة وتأثيرا فى النفس عن قصة حياتها المؤلمة .. وقصة حياتها المؤلمة هذه هى الجزء الأكبر من هذه الملهاة البديعة التى كتبها رودولف بيزييه سنة ١٩٣٠ ولقيت ، ولا تزال تلقى نجاحا ساحقا .. وحسبها فخرا أنها ظلت تعرض فى لندن عاما كاملا ونصف عام وبلا انقطاع ، كما ظلت تعرض عاما كاملا بعد ذلك وبلا انقطاع فى نيويورك سنة ١٩٣١ .. حيث لمعت فى دور اليزابث الممثلة الأمريكية المرموقة كاتارين كورنل التى مثلت الدور هذا العام الكامل فى برودواى ثم ظلت تمثله قرابة عام فى رحلة مسرحية طويلة عرضت فيها الرواية فى كثير جدا من أمهات المدن الأمريكية .. ولما دخلت أمريكا الحرب العالمية الثانية انتقلت الفرقة الى الخارج وبهذة المسرحية أيضا للترفيه عن جنود الجيوش الأمريكية فى مختلف أصقاع العالم .

أما بطل المسرحية الثانى فهو الشاعر الانجليزى الأشهر روبرت برونتج (١٨١٢ — ١٨٨٩) ذلك الشاعر الذى كان ينظم أشعارا عميقة ملغزة ، وينظم مسرحيات عميقة ملغزة أيضا كان القراء والمتفرجون على السواء يلقون العنت الشديد فى فهمها .. ومن ثم انصرفوا عنه يائسين . ومن ثم أيضا تأخرت عنه الشهرة زمنا طويلا ؛ وقل جمهوره قلة موئسة ؛ وأعرض المخرجون عن اخراج مسرحياته بالرغم من شعرها العالى المجيد ؛ لبطء الحركة فيها ، ولبعدها عن روح المسرح ؛ مما جعل برونتج بلا جمهور تقريبا .. ومما جعله ينقم على الزمن الذى شقى بالعيش فيه ، وعلى الجمهور الغبى الذى لم يقدر أدبه وأنكر عليه فضله .

وفى هذا الجو النفسى البغيض الذى كان يتعذب فيه برونتج حمل اليه البريد باقة من الشعر نظمتها اليزابث باريت ، ومع الباقة رسالة جميلة تسيل رقة وبيانا ، وتفيض بأنبل المشاعر ، مع ثناء بديع على أعمال برونتج .. المسرحية وغير المسرحية .. وفى آخر الرسالة طلبت الشاعرة رأى الشاعر « فى هذا العبث الذى أسميه شعرا ، والذى أجدنى فيه سائرة فى ظلك .. ثورة على الأوزان التقليدية مثل ثورتك .. وضربا

باعاريض المتعارفة عرض الأفق مثل ضربك .. ثم خيالا مثل خيالك ومنطقا مثل منطقك .. » .

وجن برونتج بالشعر والشاعرة غراما ، فرد عليها ردا جميلا جريئا ..« لأن صوتها كان أول نسمة تهب على قلبه الجريح من الفردوس المفقود الذى كان يحلم به ولا يجده .. وغناءها كان أول غناء يشفى سقام روحه المعذب بجحيم كاملة متلظية من الجحود والنكران .. » .

واتصلت الرسائل ، ولم تنقطع المكاتبة .. حتى تم اللقاء .. ورفض الحب المضطرم المفاجىء أن يقف عند حدود الاخاء .. فقرب بين القلبين ، وجمع الحبيبين ، وعقد لهما بالزواج .

وليس فى هذا كله عجب .. أى عجب .. انما العجب فى أن اليزابث كانت تكبر برونتج بست سنوات .. فقد ولدت سنة ست ، وولد هو بعدها سنة اثنتى عشرة .. على أن هذا أيضا قد لا يكون عجيبا .. فقد يحل جمال الأنثى وحلاوة روحها مشكلة فارق السن .. وان كان برونتج كما يقول تاريخ الجمال الانجليزى أجمل شاعر أنجبته انجلترا .. أجمل من بيرون ومن شلى ومن كيتس الذى وصفه شلى فقال انه أرونيس الذى فتن فينوس !

.. قد لا يكون هذا : اذن عجيبا .. انما العجيب العجيب أن يعشق برونتج اليزابث وهى فى ذلك الوقت فتاة مقعدة .. وفى الخامسة والثلاثين من عمرها ! فكيف ؟

ان اليزابث باريت هى ابنة هـذا المستر مولتون باريت ذو الثروة الواسعة وصاحب المنزل رقم ٥٠ فى شارع ومپول بمدينة لندن .. الرجل الذى كره زوجته ومع ذلك أنجب أحد عشر ابنا وبنتا .. كانت اليزابث أحبهم وأحبهن جميعا اليه .. وقد ازداد لها حبا وبها تعلقا بعد ذلك الحادث المؤسف الذى أصابها اذ كانت مغرمة بركوب الخيل فجمح بها جوادها مرة وسقطت سقطة مؤلمة أصيب بسببها عمودها الفقرى وهى فى ذلك الوقت فى ريعان صباها فظلت سـنين طويلة قعيدة الفراش لا تكاد تتحرك من سريرها الا بمساعدة الآخرين .. وكان هذا سببا فى اكبابها على القراءة وولعها بالأدب والشعر الذى كانت قراءته وانشاده ونظمه تسليتها الكبرى حتى لقد نبغت فيه وذاع اسمها قبل أن تعرف روبرت برونتج وقبل أن يشتهر روبرت برونتج نفسه .

وكان والد اليزابث .. هذا المستر مولتون باريت ..رجلا صارما ووالدا عنيفـا رجعيا غاليا فى رجعيته .. يمثل العصر الڤكتورى أبشع تمثيل ، حتى قبل أن ترقى الملكة ڤكتوريا

عرش بريطانيا سنة ١٨٣٧ .. وحتى كأنه كان طليعة هذا العهد الفكتورى المتزمت المحافظ الذى يقدس التقاليد ويكاد يجعلها صلاته وصيامه .. كان مولتون باريت لا يسمح لأبنائه وبناته بالتعرف الى أحد ولا مصاحبة أحد ولا دعوة أحد الى منزله الا باذنه .. والويل كل الويل لمن يخالف عن أمره أو يعصى تنبيهاته .. وبالرغم من هذا كان أبناؤه وبناته جميعا مثال المرح وخفة الدم .. ولذلك لم يكن بد من أن يعبثوا بأوامره ويخرجوا جميعا على تعليماته ويصنعوا ما شاءوا من وراء ظهره .. وكانت غيرة مستر مولتون على بناته غيرة شديدة متعسفة .. لقد كان يود لو استطاع أن يضعهن فى قماقم تحجب عنهن النور ، ولا يراهن فى جوفها أحد ولا يقع عليهن فى غياباتها نظر ناظر .. ومن ثم فقد أصبحن عوانس أو أشبه بالعوانس .. كلما جاء الى احداهن خاطب ثار وفار ووهم أن حبا أثيما ومقدمات غير بريئة قد سبقت تلك الخطبة .. والا فأين رأى هذا الخاطب ابنته وهو نفسه لم يسبق أن رآه ولا عرف أهله وحسبه ونسبه ..

ولو وقف حال مولتون باريت عند هذا الحد لهان الأمر .. لكن الذى لا يمكن أن يهون أبدا هو ما تكشف عنه تعلقه بابنته الكبرى .. ابنته اليزابث باريت بطلة هذه المأساة التى

جعل منها أبوها ملهاة أى ملهاة .. لقد أكد مؤرخو الشاعرة الانجليزية الحسناء .. المقعدة .. أن أباها لم يكن رجلا سويا .. بل لقد كان رجلا وحشا بالفعل .. لقد كره مولتون باريت زوجته .. بل كره النساء جميعا .. ولم يعد يجد الا فى ابنته المسكينة ملجأ يلجأ اليه بقلبه الظامىء الى الحب .. بل الجائع الى الجنس .. لقد جن المسكين بابنته غراما .. وهذا الجنون بها هو الذى فوت عليها فرص الزواج قبل أن تسقط من فوق جوادها — لقد كان يلازمها كظله .. وكان يتظاهر بأن ملازمته اياها هى لتنفيذ أوامر الطبيب .. وكان أدق أوامر الطبيب فى نظره هو أن تشرب المسكينة كذا قدحا من البيرة السوداء القوية كل يوم .. وكان يصر على تنفيذ ذلك الأمر اصرارا عجيبا بالرغم من كراهية اليزابث للبيرة .. ولا سيما البيرة أو الجعة السوداء التى كثيرا ما كانت تجعلها شبه غائبة عن وعيها .. ولعل الخبيث كان يتعمد أن تغيب ابنته عن وعيها لشىء فى نفسه .. قاتله الله .. وان كان يدعى ، أو يدعى له الطبيب ، بأن البيرة السوداء مغذية ومقوية ومعوضة لما يحتاج اليه الجسم العليل المقعد من غذاء ..

وظلت اليزابث تقاسى من نزوات أبيها الأمرين حتى كانت رسائلها الى روبرت بروننج ، وحتى تم اللقاء واستيقظ الحب

ونامت عين الأب الرقيب عن هذا الميعاد مع القدر على الزواج .. وفقا للخطة التى رتبها برونتج مع أحد أقرباء اليزابث : چون كينيون .. ذلك الفتى المداور الظريف الذى ساعد الحبيبين على التعارف فالتزاور فالزواج .. وكان روبرت برونتج يرى معه أن شفاء حبيبته لن يتم الا بعيدا عن هذا الوالد الوحش .. وكانت يقظة هذا الحب كفيلة ببعث الحياة والأمل فى الجسم الخامد فتحركت اليزابث وحدها ومشت فى الغرفة لأول مرة بعد سنين وبعد اللقاء الذى قرر فيه برونتج عقد الزواج خفية ... وفى الثانى عشر من سبتمبر سنة ١٨٤٦ ذهبا معا الى قسيس كنيسة القديس پانكراس Pancras حيث عقد لهما وأصبحا زوجين حبيبين ببركة الرب .. وبعد أيام قلائل عبرا القنال الانجليزى الى فرنسا حيث تجولا فى پاريس ثم شدا الرحال الى بيزا فسكنا ثمة ستة أشهر ذهبا بعدها الى فلورنسا حيث أقاما نهائيا فى كازاجويدى Cosa Guidi ، وحيث رزقهما الله بابنهما الوحيد روبرت ويدمان فى مارس ١٨٤٩ فكان قرة عين لهما .. وفى فلورنسا نظمت اليزابث قصيدتها الطويلة المشهورة : « نوافذ كازاجويدى » عن مطامح أهل فلورنسا القومية . ولم يمض وقت طويل حتى جاءت الأنباء الحزينة تنعى والدة الشاعر العظيم .. فحزن عليها حزنا ممضا .. وفى سنة ١٨٥٠

خلد ذكراها بقصيدته الطويلة الرائعة : « عيد الميلاد وعيد القيامة » التى كانت أعظم من نصب تذكارى لأعز الأمهات .

ويقيمان فى فلورنسا خمس سنوات ، كانا يقومان برحلات كثيرة فى أثنائها الى أماكن متفرقة فى ايطاليا .. ثم يزوران لندن سنة ١٨٥١ بمناسبة المعرض الدولى فيها ، وينتهز برونتج هذه الفرصة فيحاول مصالحة والد زوجته مستر مولتون برونتج الذى يرد على هذه المحاولة الطيبة بنفس طبعه القديم .. انه يرد الى مستر برونتج جميع الخطابات التى أرسلتها اليه ابنته من ايطاليا تحاول فيها أن تسترضيه وتستعطفه .. وهو يردها الى مستر برونتج مقفلة لم يفتح منها خطابا واحدا !

وتلوذ اليزابث بعدها بالصمت ..

وتنهمر ثمرات الشعر العجيب من كلا القلمين .. قلم الزوج الشاعر ، وقلم الزوجة الشاعرة .. وتغنى أوربا كلها بأغاريدهما.. ويتنقلان فى العواصم الأوربية .. ويلقيان أعظم أدباء العصر وشعرائه .. ويعودان الى انجلترا سنة ١٨٥٥ ، لكنهما يعودان الى ايطاليا الحبيبة مرة أخرى .. وفى ديسمبر من هذه السنة — سنة ١٨٥٥ يتوفى صديق الطرفين وعاقد أواصر الود والمحبة بينهما .. مستر چون كينيون موصيا لهما بمعظم ثروته .. موصيا للشاعر بمبلغ ستة آلاف وخمسمائة جنيه ، وللشاعرة بأربعة

آلاف وخمسمائة .. وبهذا يأمنان من الكدح فى سبيل الرزق وفى سبيل المحافظة على مستوى معيشتهما الى الأبد .. وهكذا يفرغان لنظم الدرر والغرر ..

ثم تحدث أحداث وأحداث .. وتمرض الزوجة الشاعرة الوفية الجميلة .. وفى فلورنسا .. يشتد عليها مرض ذات الرئة .. وفى التاسع والعشرين من شهر يونيو سنة ١٨٦١ تلفظ آخر أنفاسها وهى مسندة رأسها العبقرى على صدر أشهر شاعر فى أوربا كلها فى ذلك الوقت ، وذلك بعد أن يسألها والدموع تنهمر من مقلتيه : « اليزابث .. يا عزيزتى .. كيف أنت الآن ؟ » وتقول له : « جميلة .. وبخير ! » .

ويدفنها .. وهو يكاد يدفن نفسه معها .. فى مقابر البروتستنت بفلورنسا .. ثم يغادر المدينة الجميلة فلا يعود اليها أبدا .. لقد سرقت منه بضعة قلبه .. وسرقتها فى قسوة وغدر ..

وعاد الى انجلترا ليعنى بولده الحبيب ، وليعهد به الى آرابل باريت ، أخت زوجته واحدى شخصيات هذه المسرحية .. ثم لتعنى به من بعدها أخت الشاعر ، وكانت كل منهما تدير له منزله وتسهر على شئونه المعاشية فى المنزل رقم ١٩ فى ووروك

كرسنت ، بضاحية كنسنجتن ، من أعظم ضواحى لندن وأجملها ، حيث بدأ ينظم أخلد أعماله وأروعها .

وليتنا كنا نكتب عن الحيـاة الأدبيـة لروبرت برونج واليزابث باريت لنعلم أنهما يستحقان الخلود ويدخلان فى جناته من أوسع الأبواب .. لكننا نكتب عن تلك المسرحية البديعة التى جاء رودلف بيزيه (١٨٧٨ — ١٩٤٢) فخلد فيها مأساة هذا الحب وملهاته فى وقت معا .. بل ميلودرامته أيضا .

***

ورودلف بيزيه كاتب مسرحى بريطانى ولد فى جـزيرة جاوة من أم هولندية وأب انجليزى ، وبعد أن تعلم فى كلية اليزابث بجزيرة جيرنسى وتخرج فى جامعة هيدلبرج بألمانيـا عمل مدة فى الصحافة ثم تفرغ للكتابة للمسرح فأمده بمسرحيات كثيرة طوال ربع قرن ، وقد توالى ظهـور أحسن مسرحياته بين سنتى ١٩٠٦ ، ١٩٣٠ .. وفى هذه السنة الأخيرة ظهـرت مسرحيته هذه .. وهى أحسن مسرحياته ولم يعد يذكر الا بها .

والمسرحية من نوع المسرحيات الاخبارية التى تأتى على هامش التاريخ ، وتتحدث عن الأشخاص أكثر مما تتحدث عن الأحداث السياسية ، بل قد لا يكون لها شأن بالسياسة على

الاطلاق .. وهى من ثمة تقترب من مسرحيات التراجم ، مما أشرنا اليه فى مقدمتنا المسرحية « حاملة المصباح » ، وان تكن الترجمة هنا لأسرة بتمامها وفى جملتها وهى أسرة آل باريت القاطنين فى شارع وميول .

***

على أن أهم ما تمتاز به هذه المسرحية الفذة هو أنها صورة سيكلوجية رائعة لهذا الجانب من جوانب الحب الشاذ ، وبالأحرى : الانحراف الجنسى النادر .. الجنس الذى ينحرف عن الطريق السوى فيميل بصاحبه الى الطريق الحرام .. وأى طريق حرام ! بل أى طريق تأباه البهائم الضالة فى ظلمات الغابة ..

ان الأب مولتون باريت فى هذه المسرحية يضل هذا الضلال الجنسى حين يميل الى ابنته اليزابث ويتشهاها .. الأمر الذى لا نكاد نجد له ضريبا فى تاريخ المسرح اذا استثنينا مسرحية « قبيل شروق الشمس Vor sonnenaufgang » للكاتب الألمانى الأشهر جيرهارت هاويتمان (١٨٦٢ — ١٩٤٦) التى نجد فيها والدا أبشع من هذا الوالد المنحرف مولتون باريت ، لأنه يحب بناته الثلاث حبا بهيميا لا يبالى أن يعالن الجمهور به

فى آخر المسرحية [1] .. وهذه سوأة جريئة من سوءات المذهب الطبيعى الذى لا يبالى أن يصور ما يجرى فى البيئة تصويرا فتوغرافيا تغشى له النفس لولا ما يستر به عباقرة كتاب هذا المذهب تلك السوأة من فن بديع ، وما يهدف اليه بعضهم من التلميحات السيكولوچية : الجميلة التى تجعل أعمالهم دراسات فى النفس البشرية كما نرى فى هذه المسرحية التى لم تنفض هذه اللفتة من قيمتها فى نقد المجتمع البورجوازى الانجليزى وهدم تقاليده البالية ، ودستوره السلوكى العقيم الذى شن عليه شو حملته المعروفة ومشى تحت لوائه فى القضاء عليه معظم معاصريه وتلامذته من كتاب المسرح الانجليزى الحديث ، ومنهم رودولف بيزييه مؤلف مسرحيتنا هذه .

***

وبعد .. فقد قدمنا بتلك الخلاصة التاريخية لقصة هذه الأسرة البائسة التى جعل عائلها حياتها ميلودرامة ضاحكة بسبب هذا الدستور الأخلاقى الذى كان يفرضه عليها فرضا كان الشقاء منه فى طرف ، بينما كان الضحك والمرح واللعب

---

(١) تجد تلخيصا وافيا لهذه المسرحية فى كتابنا « أشهر المذاهب المسرحية » ص ١٥٠ وهو من منشورات وزارة الثقافة (د) .

والاستهتار بدستور الوالد العقيم منه فى طرف ثان .. والصورة صورة حقيقية وواقعة من وقائع تاريخ المجتمع البريطانى فى منتصف القرن التاسع عشر الذى كانت تسيطر عليه مسز جراندى رمز النفاق وحارسة التقاليد فى العهد الڤيكتورى ، ذلك العهد الذى كان كبتا باسم آداب السلوك لم يلبث أن ولد انفجارا عبث بكل القيم .. تماما كما ولد حكم الكومنولث فى عهد كرومويل هذا الانفجار الشنيع فى فترة عودة الملكية ..

فكيف صنع رودولف بيزييه من تلك القصة أو من ذلك الخبر من أخبار التاريخ مسرحية ناجحة لا نحسب أن يد القدم سوف تمتد اليها يوما من الأيام ؟

لنعرض خلاصة للمسرحية أولا ، لنرى كيف جمع المؤلف فيها أشتاتا من أجزاء القصة الحقيقية ، ولنرى كيف صور لنا عقلية مولتون باريت ونفسيته ، ونفسيات أبنائه وبناته ومن كان يلوذ بهم من الأهل والأصحاب .. وماذا كان رد الفعل الذى يحدثه دستور مولتون فى هؤلاء وهؤلاء الى أن يدخل شاعرنا العظيم فى حياة اليزابث ، وبالتالى فى حياة هذا الوالد العنيد العتيد ذى النوايا والأطواء .. وكيف صور لنا فى غير حذلقة ولا خروج عن الموضوع ودون تكلف ، مقدرة اليزابث الشاعرة فى نقد شعر أحبته مع ذاك .. وأحبت صاحبه الذى لم يلبث

أن أصبح لها زوجا .. وكيف اختار من القصة القدر الذى يصلح لمسرحيته ليتجنب الوثب الطويل الذى تعرض له ريجونولد بيركلى فى « حاملة المصباح » حينما كان يقفز بنا عشرة أعوام وعشرين عاما وربع قرن ، بين الفصل والفصل وبين المشهد من الفصل والمشهد الذى يليه من الفصل نفسه ، ليعطينا صورة كاملة من جزء من حياة فلورنس نيتنجيل فى مدى ستين عاما .. ثم كيف كان بارعا لوذعيا حينما مس نقطة حب الوالد الشاذ ، بل حبه المنحرف ، وهو يغازل ابنته ويشكو اليها صبابته دون أن يجرح حياء أحد أو يتسبب فى وقوف الرقابة فى أى دولة من الدول للمسرحية بالمرصاد فتعطل تمثيلها أو تأمر ببتر هذا الجزء أو ذاك من أجزائها احتراما لشرعة الآداب ومحافظة على « حسن السير والسلوك ! » .

* * *

ها نحن أولاء فى غرفة اليزابث باريت فى المنزل رقم ٥٠ بشارع ويمپول بمدينة لندن .. والغرفة أشبه بمكتبة عجيبة كدست فيها الكتب ودواوين الشعر من كل لون على أرفف كثيرة نرى بالقرب منها تماثيل للشعراء الخالدين أمثال هوميروس وتشوسر وشيكسپير وغيرهم وغيرهم .. والغرفة بذلك معدة بحيث تجمع بين غرفة نوم للحسناء المقعدة اليزابث ،

وغرفة مكتب وغرفة استقبال ومستشفى وغرفة طعام أيضا .. انها دنيا بأكملها لهذه المريضة المسكينة الممدة فوق أريكتها ، مستسلمة لهذا الطبيب تشامبرز الذى راح يفحصها ويقيس درجة حرارتها ويجس نبضها .. بينما كلبها الحبيب فلش راقد فى سلتها يرقب صاحبته المريضة بعينين كلهما وفاء ، وقلب كله محبة ، ومشاعر نبيلة كلها عطف ورثاء ..

والطبيب يبدى أسفه لمريضته ، لأنه لا يلاحظ أى تقدم بعد الذى عاناه فى تمريضها .. انه يصارحها .. هـذا الجاهل المحترم : .. بقلقه من هـذا الهبوط المستمر فى حيويتها .. والمريضة تجيبه بأن حبسها هذه السنين الطويلة فى حجـرة واحدة لا تتغير كفيل بأن يجعلها من بين الموتى .. فلماذا لا يغير طريقة المعالجة .. كأن يصف لها رحلة بحرية مثلا ، أو التريض فى الحديقة مرتين أو ثلاثا يوميا .

ويتصل الحديث بينهما فنعرف أن اليزابث منكبة الآن على دراسة اليونانية واللاتينية ، وأنها تكتب مقـالات الى بعض المجلات الراقية بطريقة منتظمة .. وأنها مغرمة بقراءة الشعر ونظمه .. وأن لها من الشعراء العظام صديقا عزيزا هو المستر روبرت برونتج الذى سوف يزورها غدا ..

ولا تكاد اليزابث تذكر الشعر والشعراء حتى يظهر الطبيب الجاهل امتعاضه .. لأنه لا يبالى فى كثير أو قليل بالشعر أو الشعراء .. « ثم ان الشعر عمل تافه وهو لا يجشم صاحبه أية مشقة » وتجيبه اليزابث ان عليه أن يقرأ منظومة برونتج التى سماها : « سورديللو » [1] ليقول لها ان كان الشعر عملا بسيطا ولا يجشم ناظمه مشقة أو أنه بالفعل عمل شاق ويكلف صاحبه الكثير من العناء والعنت .. ثم تقول اليزابث ان أباها لو كان أكثر مرحا لتغير حال من بالدار جميعا .. وليسر هذا شفاءها كما لا ييسره دواء أو علاج .. ويجيبها تشامبرز انه لا يعنيه أن يكون أبوها أكثر مرحا أو أقل مرحا .. « لكن حينما يكون الانسان فى صحة جيدة ولديه المال الوفير الجم ، والأسرة الكبيرة ذات البنين والبنات .. لا يكون ثمة سبب يدعوه لأن يجعل الحياة كلها عبئا ثقيلا عليه وعلى من حوله .. » ويقول لها أيضا ان جو انجلترا الرطب لا يناسب

---

(١) سورديللو من الشعراء التروبادور ، وقد ورد اسمه كثيرا فى كوميدية دانى الالهية .. وقد استخدمه برونتج فى منظومته هذه ليصور المشاق التى يتجشمها الشاعر أو الأديب لكى يشعر الناس بقدره .. والقصيدة عسيرة الفهم فعلا .. ومن هنا ما لمحت به اليزابث فى هذا الحديث (د) .

صحتها اطلاقا .. وانه يرى أن جو ايطاليا هو أنسب مكان لتطبيبها ..

ولا يكاد يذكر اسم ايطاليا حتى تبتهج الفتاة وتتحسر .. تبتهج لأن رحلة الى ايطاليا هى حلم عمرها كله .. وتتحسر لأن هذا الحلم هو من رابع المستحيلات ، بل من خامسها أو سادسها أو سابعها .. ما دام السيد والدها العزيز على قيد الحياة ...

ثم يسألها عن حال شهيتها الى الطعام فتشكو له من تلك البيرة السوداء التى اقترحها والدها وأقرها السيد الطبيب ، والتى جعلت حياتها تعاسة طويلة وكمدا لا ينتهى .. بالرغم مما يؤكده هذا السيد الطبيب من فوائدها لاليزابث بالذات .. ويقترح الطبيب غير النطاسى أن تستبدل اليزابث اللبن بالبيرة .. لكنها تبدى ضيقها باللبن أيضا .

وتدخل تلك الفتاة اللطيفة مس ويلسون خادمة اليزابث لتقول للسيد الطبيب ان سيدها : السيد مولتون باريت — رب الأسرة — يريد مقابلته على انفراد .. فاذا خرج الطبيب أخذت الفتاتان تتضاحكان عن البيرة وأخبار البيرة .. وعرفنا أن مس ويلسون كانت هى الرسول المؤتمن على خطابات اليزابث .. منها .. واليها ..

ثم تدخل شقيقة اليزابث المرحة التى تتدفق شبابا وجمالا وحيوية .. تلك المس هنرييتا .. تدخل لتضحك مع اليزابث على السيد الوالد المحترم الذى جعل العشاء تلك الليلة قداسا جنائزيا بطول تجهمه وصرامة نظراته .. والبكم الشديد الذى قرضه على الآكلين والآكلات .. حتى اذا انتهى الأكل وخرج بنبيذه البرتغالى ليتجرعه فى مكتبه حمدوا الله جميعا .. وتنفسوا الصعداء ..

ثم تدخل أختهما آرابل الطوية السمراء الوقور حاملة مذكرة من السيد الوالد الى هنرييتا يقول لها فيها « ان خالتها وخالها وابنة خالها بيللا وصلوا الى لندن ونزلوا فى أحد فنادقها .. وأن بيللا تعتزم زيارة آل باريت هى وخطيبها بيفان فى الثالثة مساء ، وأنها — أى هنرييتا — ستكون فى استقبالهما هى وأخواتها ان كانت حالة اليزابث تسمح بالانتقال الى حجرة هنرييتا التى تقع أعلى غرفة اليزابث .. وأن فى نيته أن يدعوهم للعشاء يوم الخميس .. والسلام ! » .

ويتحاور البنات الثلاث عما فطر عليه أبوهن من خسة الطبع والبخل وكراهيته لاتباع أساليب الأدب المألوفة مع أى انسان .. وأنه دعا هؤلاء الأقرباء الى العشاء مضطرا وأنه يكره من صميم قلبه دعوة أى انسان الى داره ، وأن أكره

ما يكره أن يدعو أحد من أبنائه أو واحدة من بناته صديقا لهما الى الدار لتنـاول كوب من الشاى أو وجبة خفيفة من الطعام .. وهذا هو الذى يغيظ هنريتا لأنها تنتظر صديقا .. ومن يدرى .. فقد يكون حبيب العمر المنتظر .. وهى تنتظره فى الغد .. وهى مضطرة بسبب وليمة الخال والخالة أن تؤجل زيارة هذا الصديق أو الحبيب .. لكن أختها آرابل تشير عليها ألا تفعل ، لأن أحدا لن يلتهم هذا الصديق .. وتضيق هنريتا بغمزة شقيقتها فتثور وتخرج .. ويخلو الجو للأختين الأخريين اليزابث وآرابل فتتحدثان عن هـذا الصديق الجديد الذى تهتم به هنريتا .. هذا الكابتن سورتيز كوك الخجول الحى .. والذى لن تنتهى ملاطفات هنريتا معه الا الى الفشل .. لأن السيد الوالد لن يسمح بتاتا لأى ممن فى الدار أن يتزوج .. وقد حدث هذا منذ عامين حينما تقدم لخطبة هنريتا هـذا الشاب اللطيف بالفرى !

وتدخل هنريتا ثانية لتعتذر لآرابل .. ويدور الحديث من جديد عن الحب والمحبين والخطبة والخاطبين .. ويرسـم البنات خطة لطيفة لكى تخلو هنريتا الى خطيبها هذا الكابتن كوك بشرط أن تخلو الغـرفة من الساعة الثالثة حتى تلقى اليزابث صديقها — أو ما شئت فسمه — شاعرنا العظيم المستر

برونتج . ونعرف من حديث آرابل أن المستر چون كينيون أخبرها بما بين برونتج وبين اليزابث من ميل متبادل ، وأنه متلهف الى لقائها .. لكن اليزابث لا تلبث أن يعروها القلق والهم .. وهى تتردد فى لقاء الشاعر الذى يهواها لأنها تخشى ألا يجد فيها من الجمال ما وجده فى شعرها الذى أرسلت اليه طائفة منه .

وتشجعها آرابل .. وتثنى لها على ما تمتاز به من حسن ساحر وجاذبية أخاذة .. وتحضها على لقـاء برونتج .. لكن الحديث ينقطع بدخول أوكتافيـوس أحد اخوة البنـات من آل باريت .. وأوكتافيوس فى حوالى الثامنة عشرة .. وهو فتى خجول يتلعثم كثيرا .. ولعلهما آفتان ناجمتان من الحياة المتزمتة فى هذا البيت العجيب .. لقد جاء يسأل عن صحة اليزابث .. ولا يكاد ينتهى من سؤاله حتى يتوالى دخول اخـوته من آل باريت أيضا .. فهاهو ذا سبتيماسى باريت .. الذى يكبر أوكتافيوس بعام واحد .. وقد جاء للسؤال عن صحة أخته كما جاء أخوه من قبل .. ثم يدخل من بعده أخوه ألفريد الذى يكبر سبتيماسى بعام واحد أيضا (!) .. ثم يدخل من بعده أخوه تشارلز الذى يكبره بعام كذلك .. ثم يدخل من ورائه أخوهم هنرى باريت الذى يكبر تشارلز بقليل (!) .. ثم

لا تمضى لحظات حتى يدخل أخوهم چورچ باريت .. وهو أكبر قليلا من هنرى ..

انهم يدخلون بهذا النظام الرسمى العجيب الذى وضعه أبوهم بلا شك .. الأصغر ثم الأكبر ثم الأكبر منه .. وهكذا دواليك .. وهم يدخلون جميعا ببذلة السهرة .. وكل منهم يطبع على خد اليزابث قبلة صناعية لا طعم لها .. بعد أن يسأل عنها !

ويقول أصغرهم أوكتافيوس لأخيه چورچ ان آل هيدلى وصلوا الى المدينة فى زيارة مفاجئة ، وانهم سيتناولون العشاء هنا .. ومعهم ابنتهم الجميلة بيللا هى وخطيبها الريفى الجلف بيفان مساء الخميس .

ويدهش الاخوة لهذا النبأ .. وموضع دهشتهم هو هذا العشاء الذى يبذله والدهم المحترم عن سخاء اضطرارى لهؤلاء الأقارب .. ويسأل هنرى أخاه چورچ عن هذا المستر بيفان فيقول له انه بالجحش المطهم أشبه .. لكن ايراده السنوى يبلغ عشرة آلاف جنيه لن تلبث أن تتضاعف حين تموت جدته .. ويتندر الجميع بكلام ظريف عن هذا المستر بيفان ..

ويزف اليهم أخوهم چورچ بشرى سعيدة .. فأبوهم

مستر مولتون باريت معتزم أن يقوم برحلة الى پليموث تستغرق أسبوعين .. أسبوعين كاملين .. وهكذا ينجاب كابوسه عن صدورهم هذه الفترة الجميلة .. وتتهلل أسارير وجوههم بهجة ورضا .. وتكون هنريتا أشدهم سرورا .. وها هى ذى تعانق چورچ وتقبله .. لأن بشرى سفر والدها تتيح لها الفرصة للقاء حبيبها .. وهى لهذا تسأل أخاها أن يرقص معها البولكا ، فاذا اعتذر راحت ترقص وحدها .. فى حين يصفق لها أوكتافيوس ليضبط لها ايقاع الرقصة .. ولكن ..

ان الباب ينفتح فجأة ويدخل الأب المحترم السيد ادوارد مولتون باريت !

وتجمد هنريتا مكانها فكأنها تمثال .. كما يجمد الدم فى وجوه الآخرين والأخريات .. وتحيى اليزابث الراقدة فى أريكتها أباها .. لكنه لا يرد تحيتها .. بل يظل فترة وهو يقلب نظراته فيهم واحدا بعد واحدة .. حتى اذا تفضل بالكلام قال انه مستاء غاية السوء لأنهم لا ينفذون ما أشار به من وجوب توفير الراحة لأختهم المريضة ، ويخالفون ما أمر به من ألا يزورها فى المرة الواحدة أكثر من ثلاثة منهم ..

ولكن هنريتا — هذه العفريتة — تضحك ضحكة

لم تستطع أن تكتمها .. فاذا سألها أبوها عن ذلك ، وعما كانت تفعل .. أجابته أنها كانت ترى اخوتها وأخواتها كيف ترقص رقصة البولكا .. فاذا أبدى الوالد استياءه تدخل أوكتافوس ، وتدخلت اليزابث ، وحاولت تغيير مجرى الحديث فذكرت ما أقنعت به طبيبها من استبدال اللبن بالبيرة السوداء .. وتنجح اليزابث فيبدىء والدها ويعيد فى المقارنة بين البيرة وبين اللبن .. وألا بد لها من شرب البيرة .. لأنها لا تعرف ما ينفعها مما يضرها .. ثم يأمر هنرييتا باحضار (شوب !) من البيرة السوداء لأختها ..

ولا تملك هنرييتا أن تحتج وتثور .. وتعالن أباها بأنه لا يبغى سوى تعذيب أختها ، وتعذيبها فحسب .

فاذا ثار بها أبوها تدخلت اليزابث .. وطلبت الى هنرييتا أن تذهب لاحضار قدح من البيرة السوداء .. وأمرها الى الله ..

فاذا صدعت هنرييتا وذهبت لاحضار البيرة أمر الرجل أبناءه وبناته بتوديع اليزابث وتقبيلها قبلة المساء لكى ينصرفوا الى غرفهم جميعا .

وهنا تبدأ القبل الآلية بالصورة التى قاموا بها حينما

دخلوا .. وبالسن أيضا .. ولكن .. الأكبر فالأكبر هـذه المرة .

ثم تدخل هنرييتا حاملة قدح البيرة فيأمرها أبوها بتحية أختها والخروج فورا ..

وتطيع هنرييتا .. ولكن بعد أن تخالس أختها النظرات .. وبعد أن تحدج أباها بعينين فراستين :

وهكذا يخلو المكان للأب العجيب الذى نراه يخلط بين الدين والحب والجنس فى حديثه لابنته فى تلك الخلوة الشقية التى كانت اليزابث تتعذب بهـا وأبوها يصرح لهـا بأنها : « .. كل شيء له فى هذا الوجود (!) .. وأنه بدونها يصبح فريدا وحيدا .. وأنها لو كانت تحبه لما أمكن أن تخاف منه أو تخشاه .. لأن الحب يطرد الخوف .. وأنها ستبرهن له عن حبها بالعمل وفق ما يريد وما يشتهى ..

وتذهل اليزابث لهذه النغمة التى يخاطبها بها أبوها الثعلب العجوز .. بل هى تمتلىء خوفا منه .. وتحسب أن شربها قدح البيرة ينجيها من هذا التحبب السمج الذى يدعى فيه الرجل « أنها كل شيء له فى هذا الوجود .. وأنه لولاها لأصبح فريدا وحيدا بالرغم من أنه أب لعشرة أولاد وبنات غيرها .. ! ولذلك تتناول القدح وتعبه عبة واحدة .. لكن

الرجل الذى يساوره الشك فى أن ابنته ربما تكون قد أدركت العاطفة الخبيثة الملعونة التى تخامره يسارع الى الاحتماء بالله .. وطلب المعونة من السيد المسيح .. ليدارى تلك العاطفة .. انه يطلب اليها أن تصلى معه تلك الصلاة التى هى بالهذيان أشبه :

« يا الهى العظيم الرحيم .. أضرع اليك أن تتقبل صلاتى وتجيب دعائى .. يا رب ذا الحكمة التى لا تدركها أفهامنا لقد أسأت الى ابنتى اليزابث حين أنزلت بها هذه المحنة المؤلمة المحزنة منذ سنوات ، وها هى ذا ترقد مريضة وستبقى كذلك سنوات أخر مالم تخترها الى جوارك (!) امنحها القدرة لتدرك كلمتك الرحيمة بأنك انما تمتحن الذين تحبهم . امنحها القدرة على احتمال الآلام فى رضا وصبر .. امنحها القدرة التى تثبت قلبها وروحها على دينك .. وعلى الوجود العلوى الأزلى الذى قد يفتح لها أبوابه فى أية لحظة .. اشملها بعنايتك الرحيمة الليلة .. طهر عقلها من نزعات السوء والأنانية والقسوة .. احرسها وامنحها الراحة .. سألتك هذا كله بحق يسوع المسيح .. آمين ! » .

ثم ينهض الرجل الراكع الى جوار أريكة اليزابث ليطبع على جبينها قبلة ملتهبة مع ذاك ! ويحييها وينصرف .. بينما

تحملق فيه اليزابث بعينين حائرتين .. تفهمان .. أو لا تفهمان .. صلاته وتسبيحه !

وهنا تدخل خادمتها ويلسون فتنتشل سيدتها من الهم الذى كانت تعانيه .. وتطمئنها على صحة كلبها فلنتى الذى استمتع بنزهة طيبة ..

وتطلب اليها اليزابث أن تفتح لها النافذة المتجهة نحو البدر السارى فى السماء بين السحب عسى أن تهب منها نسمة تغسل بعض ما كابدته من هم .. ثم تطلب منها أن تطفىء المصباح .. وأن تدعها وحدها .. فاذا فعلت ويلسون رأينا الفتاة المريضة المعذبة تدفن وجهها بين ذراعيها وتنشج نشيجا مرا .. وتبكى بكاء مكتوما .. والستار ينزل على نهاية الفصل الأول .

* * *

وفى عصر اليوم التالى نرى اليزابث فريدة فى غرفتها المشمسة وقد أكبت على قراءة شىء من الشعر اكبابا جعلها لا تلفت الى دخول خادمتها الظريفة مس ويلسون التى تضطر الى تنبيهها الى نفسها بقولها انها لم تتناول الا قليلا من طعامها الموضوع أمامها .. فاللحم المشوى الذى كما هو .. والسجق

لم تمتد اليه يدها .. وفطيرة الذرة بمربى التوت لم تطعم منها شيئا ..

وتبتسم اليزابث وترجوها أن تخرج بالصينية .. فتطيع ويلسون .. لكنها تعود بالدواء لتتجرع منه اليزابث .. وتعود الى أشعارها .. ثم ترجوها أن تفتح النوافذ لمزيد من ضوء الشمس .. لأن أضيافا سيحضرون الليلة .. منهم هذه الفتاة الجميلة بيللا هيدلى ابنة عمة اليزابث هى وخطيبها .. ثم يحضر بعد ذلك مستر روبرت برونتج .. ذلك الذى تعرف ويلسون أنه يرسل باستمرار كتبه الجميلة ورسائله ذات العبير الى سيدتها اليزابث ..

.. وتفاجىء اليزابث خادمتها بأن تسمعها الشعر الذى كانت منهمكة فى قراءته لتقول لها رأيها فيه .. فاذا قالت ويلسون انها لا تفهم منه شيئا وان كانت ألفاظه حلوة وذات رنين أضحكت اليزابث وقالت : ان هذا هو رأيها أيضا .. لقد كتبه مستر روبرت برونتج ضيف الليلة ، وقد كانت تظن لعدم فهمها اياه أنها ربما كانت مسلوبة اللب أو شاردة الذهن .. أو أن نوبة من الجنون توشك أن تصيبها .

ان اليزابث تعيش هذه اللحظات الشعرية فى سكرة من

غناء قلبها .. وهى لهذا تطلب من كلبها فلش أن يكون مهذبا حينما يحضر بروتنج .

ويحضر أخوها أوكتاڤيوس ، فتخرج ويلسون بالكلب .. وتسأل اليزابث أخاها ماذا عساه يصنع فى البيت فى مثل ذلك الوقت ، فيخبرها أن أباه هو الذى منحه تلك الأجازة ليكون رقيبا على من بالبيت من أخواته البنات حينما يحضر بيفان وعروسه بيللا .

وتضحك اليزابث .. وتفاجىء أوكتاڤيوس بأن الكابتن كوك خطيب هنرييتا وحبيبها سوف يحضر هو أيضا للزيارة ، وأنها دبرت حيلة لكى ينفرد بها حينما يكون بيفان وبيللا موجودين .. وعلى أوكتاڤيوس أن يخلى لهما الجو بحضوره مع بيفان وبيللا فى غرفة اليزابث .

— « ينفرد بهنرييتا ؟ .. شىء جميل ! ولا تخجلين من هذا يا أختاه ! » .

— « كلا .. فعلينا أن نخاطر بالجمع بينهما ما دام الكابتن ينتوى الزواج من أختنا .. اسمع يا أوكتاڤيوس .. لقد تأكدت وأنتم تزورونني أمس وتقبلوننى الواحد بعد الآخر ، انكم تعيشون فى هذا البيت كالآلات .. تستيقظون كل صباح فى السابعة والنصف ، ثم تتناولون فطوركم كالآلات .. ثم تذهبون

الى عملكم كالآلات .. وتعودون الى البيت كالآلات .. وتتناولون عشاءكم كالآلات .. ثم تنامون كالآلات ! .. وبالرغم من أن أرابل تشق طريقا مختلفا الا أنها تشقه كالآلة تماما .. ويبدو لى أنكم جميعا قد انتزعتم من الحياة كل ما يجعلها تستحق العيش .. لقد انتزعتم منها الانفعال .. المغامرة .. التغيير .. الصراع .. الحماقة .. الحب .. » .

ويقول لها أوكتاڤيوس : « أوه يا اليزابث ! أعترف أننا ضعفاء الارادة الى أبعد حد .. ولكن أنت ؟ ماذا عنك أنت ؟ ان أحدا منا لا يمتلك أية موهبة .. وكلنا نعتمد على السيد الوالد كل الاعتماد ..ويجب أن نطيعه والا تحطمنا .. فهل تنصحيننا بالتمرد ؟ » .

وتجيبه اليزابث : « لست أنصحكم بالتمرد ، لكنى أنصحكم بعدم الاستسلام .. امنحوا أرواحكم الحياة .. ان أشد ما أخشاه أن تستكينوا لحال ليست هى الحياة على الاطلاق .. انكم جميعا تسيرون فى هذا الطريق .. الا هنريتا ! » .

« ويضحك أوكتاڤيوس ويقول : « أجل ، ولذلك فهى لا تنال من أبيها الا الركل .. انها تنال منه أكثر مما تنال نقودا .

وتقول له : « ليكن .. ولكن الركل يجعلها تستشعر

الحياة .. ان واجبنا أن نيسر لها لقاءها مع الكابتن .. مهما انتهى هذا اللقاء نهاية محزنة .. » .

فاذا سألها عن نفسها ، وعن المكان الذى انتهت اليه البيرة السوداء .. علت وجهها سحابة من الاكتئاب .. وقالت : « أخرجونى من حسابكم .. فقد انتهت حياتى كما ترون .. » .

وتدخل هنريتا فتسأل أخاها ما باله هنا ؟ ويجيبها انه مرسوم ملكى أصدره السيد الوالد بوجوب مراقبته — أى أوكتافيوس — للكابتن العزيز الذى علم أنه « سيحوم حول حمى منزلنا هذا المساء ! » .

وتذعر هنريتا .. وتسأله : « وكيف علم الوالد ان لم تكن أنت الذى أخبرته ؟ » ويعابثها أوكتافيوس ليزيدها ذعرا .. ثم يطمئنها .. ويخبره بالخطة التى رسمتها اليزابث لكى تسعد هنريتا بحبيبها .. فتهلل فرحا .. وتزداد تهللا حينما تسمع ضجة فتنظر من النافذة فترى موكب آل هيدلى .. وبيللا هيدلى تتألق بينهم . لكنها تنظر الى ساعتها فتجدها الثالثة وخمس دقائق .. وكان الكابتن سورتيز كوك .. خطيبها وحبيبها المنتظر قد حدد الثالثة لمجيئه .. فيا ترى ، ماذا أخره ؟.. انها تفزع لهذا ، الا أن فزعها لا يطول .. فها هو الكابتن قد وصل .

وتدخل بيللا مع خطيبها مستر بيفان .. وترحب بهما اليزابث التى لم تكن قد رأت بيللا منذ أن كانت طفلة .. لكن الذى يدهشها من مستر بيفان هو بصره بالشعر ومقدرته الفائقة على نقده وتمييز غثه من ثمينه .. انه يقول عن الشاعر تنيسون — معاصر برونتج — انه رجل مهذب .. لكن شاعر شاك .. « وهذا أمر يؤسف له .. وهذه ظاهرة متفشية بين شباب اليوم .. وان ضعف الايمان ، والاستهتار وروح السخرية أمور أخذت تتفشى بينهم .. وهذا هو لعنة هذا العصر الذى نعيش فيه » .

ثم يتصل الحديث فتقول بيللا انها كانت ترجو أن تكون هنرييتا العزيزة وابنة خالها العزيز احدى وصيفات الشرف فى حفلة زفافها ..

وتحضر هنرييتا فتطلب اليها بيللا ذلك .. ولا تمانع هنرييتا .. لكنها تشترط موافقة والدها على ذلك .. لأن والدها الذى كان يملك عبيدا فى جزيرة جاميكا يوما ما .. لا يزال يمارس النخاسة هنا فى انجلترا وفى هذا المنزل بالذات ، بعد أن ألغيت النخاسة فى جاميكا .. ؟ وهى لهذا تؤكد أن أباها المستبد والحاكم بأمره هنا سوف يرفض أن تكون هنرييتا وصيفة شرف فى حفلة زفاف بنت أخته بيللا !

ويخرجون لشرب فنجان من الشاى ، ولا يبقى فى الغرفة الا اليزابث وهنرييتا التى تقول لأختها ان الكابتن سورتيزكوك قد طلب منها يدها منذ لحظات .. وأنها لا تدرى ماذا تصنع .. ان كوك ضابط فقير ولا مال له الا راتبه ودخـل بسيط .. وهنرييتا فقيرة كما تعلم أختها اليزابث التى لها ايراد سنوى خاص لو كان لهنرييتا لفرت مع كوك فى الحال ولتزوجته رغم أنف أبيها الذى لن يوافق على زواجها من كوك ولا من غير كوك طالما كان هذا الوالد على قيد الحياة ..

وتعبس اليزابث ، وتقول انها تهب أختها هذا المال الذى لم يعد ينفعها وهى فى هذه الحال من المرض الممض والداء العيـاء .

ولكن هنرييتا تشكر لها هذه النخوة معتذرة عن قبول مال اليزابث حتى لا تعرضها لسخط والدها اذا علم أنها هى التى يسرت لها هذا الزواج .. ثم هى تعجب لموقف اليزابث .. لأنها الفتاة الوحيدة التى تملك فرصة الافلات من هذا السجن الذى تعيش فيه ولا تستغلها بما لها من هذا المال الذى يمكنها من حياة حرة مستقلة .. وتجيب اليزابث بالجواب المحتوم .. اذ أنها الى أين تفر .. ولماذا .. وهى غير صالحة لحياة الزوجية وانجاب الأطفال ؟

وتقطع عليهما حديثهما الخادمة الظريفة مس ويلسون .. لقد وصل مستر برونتج !

ويكون حضور الشاعر والحبيب المجهول العظيم روبرت برونتج مفاجأة لاليزابث وان تكن عالمة بميعاده.. انها تضطرب.. وتوشك أن تعتذر عن عدم مقابلته بحجة النوم أو المرض لولا أن تدفعها هنرييتا الى لقائه دفعا .. حتى اذا اقتنعت بهذا اللقاء طلبت الى أختها أن تسوى لها غطاءها .. بينما شرعت هى تنظر فى مرآتها لتسوى شعرها وتأخذ بعض زينتها .

ويدخل برونتج .. ويكون فى ذلك الوقت فى منتصف العقد الثالث .. متأنقا شديد التأنق .. جعل على كتفه دثارا مربوطا فى رقبته بسلسلة .. وجعل فى يده قبعته العالية وقفازه الأصفر وعصاه الداكنة .. انه فتى لبق يفيض صدقا وحرارة .. سريع الكلام سريع الاشارة .

وتخرج هنرييتا حتى لا تتلف قدسية هذا اللقاء الأول بين الحبيبين .. حتى اذا توارت عنهما مد الرجل يده الجريئة الى يد اليزابث الخائفة المرتعشة فجعلها بين يديه .. ثم رفعها الى شفتيه فطبع عليها قبلة جائعة مشتاقة .. وان تكن قبلة مهذبة مؤدبة مع ذلك ..

ثم يبدأ الحديث تمتمة أول الأمر .. ثم لا يلبث أن يمضى

كما تمضى الأحاديث بين الأحبة .. فتذكر اليزابث مرضها .. ثم هذا السجن الذى تعيش فيه .. والذى يقول روبرت انه كان يعرفه اجمالا وتفصيلا .. حتى هذه التماثيل ونبات العليق الذى يرسل عساليجه الى غرفة هنرييتا .. ومن حديثه تعلم أن قريبها چون كينيون كان يصف لبروننج كل شيء .

ثم يأتى الحديث عن رسائلهما .. ثم عن الشعر .. هو يثنى لها على شعرها الصادق الرقيق .. وهى .. وبكل صراحة .. تقول له انه لا يفعل شيئا حين ينظم الشعر الا أن يمثل ! لكنه يفسر لها سبب هذا التمثيل بقوله :

« اننى رجل متواضع شديد التواضع .. وأنا أعرف أننى اذا كتبت عن نفسى .. عن آمالى ومخاوفى .. عن مقتى وحبى .. فستكون أشعارى مملة لا تطاق ، ولهذا .. أمثل .. لأننى لا أكتب عن نفسى .. وان كتبت عنها من خلال الآخرين ! » .

ومع هذا تقول له اليزابث .. وقد انشرح صدرها للكلام :

« أوه مستر بروننج .. ان هذه القصائد التى تنظمها .. بما فيها من فرحة واقبال صادق على الحياة .. لا يمكن أن تتصور مقدار ما تعنيه بالنسبة لى .. أنا .. هذا الطائر السجين بين أربعة جدران .. وشارع ويمپول هو كل ما أراه من هذا العالم .. وأشخاص قصائدك ومسرحياتك الغرباء يحتشدون

حولى من كل زمان ومكان فى حجرتى وحول أريكتى .. وكلهم ينبضون بالحيـاة .. الحياة .. أوه .. انك لا تعرف كم أنا مدينة لك » .

ويبتهج الشاعر .. ولا يملك أن يشكو تنكر الجمهور له وغض النظر عنه .. هذا الجمهور الناكر الجاحد ..

وينسب برونتج عدم شعبيته .. وبالأحرى .. عدم اقبال الشعب على أدبه .. الى أسلوبه ..

والعجيب أن توافق اليزابث على ما يقوله برونتج .. وهى تبرهن له على ذلك بجملتين أو ثلاث من منظومته الطويلة سوردييللو .. وتعطيه المنظومة وقد خطت تحت الجمل بخطوط حمراء ، وتطلب اليه أن يفسرها لها ..

ويطيل برونتج فى الجمل .. ثم اذا هـو يضحك قائلا : « حسن يا مس .. اننى حينما كتبت هذه الجمل .. كان يفهمها الله وروبرت برونتج .. أما الآن فلا يفهمها الا الله وحده ! والآن .. ألا يحسن أن نضىء ما فيها من ظلام بالقائها فى نار المدفأة ؟ » .

ويهم الشاعر بأن يلقى بمنظومة سوردييللو فى نار المدفأة .. لولا أن تستغيث اليزابث .. وتأخذ المنظومة لتجعلها فى حضنها .. « لأن فشلا كبيرا قد يساوى ألف نجاح صغير ! » .

ويمضيان فى حديثهما الممتع .. وتشكو اليزابث من سوء

حالها حين تدغدغ مشاعرها كلمات الغزل التى يشبب فيها برونتج .. هذا الشاعر الشاب — بجمالها .. ولكن الشاعر يمضى فى غنائه بمفاتنها .. قائلا ان قريبها وصديقه چون كينيون لم يستطع مع فصاحته وذلاقة لسانه أن يصف له من اليزابث عشر معشار ما يراه الآن .. ثم يقول :

« استمعى الى يا اليزابث : ان الألوان التى رسمك بها كينيون لى لم تجف بعد .. والآن .. يجب أن تمسح لأعيد رسم الخلقية من جديد .. اننى سأغمس فى فرشاتى فى مشرق الشمس وفى مغربها .. وفى قوس قزح نفسه .. انك تقولين ان أشعارى كانت عونا لك .. انها لا شىء .. انه أنا .. أنا الذى سوف أساعدك الآن .. لقد التقينا فى النهاية .. ولا أريد أن أبتعد عنك أو تبتعدى عنى مرة أخرى .. هاتى يدك (وينحنى ليتناول يدها) ان بى طاقة من الحياة أضعاف ما يحتاجه انسان واحد .. وانها لتغلى فى أعماقى وتموج .. ولقد أنفقت قليلا من هذه الطاقة الزائدة فى رسم شخصيات خيالية لرجال ونساء .. وما زال لدى مزيد كبير من هذه الطاقة التى لا أستفيد منها الا ما أمنحه لغيرى .. فهل تسمحين لى بأن أمنحك اياها ؟ ألا تشعرين بحياة جديدة تسرى منى اليك .. وتخزك فى أصابعك وذراعيك .. وتصل مباشرة الى قلبك وعقلك ؟ ! » .

وتشعر اليزابث بشيء من الخوف اللذيذ وهى تتلقى هذا الوحى من برونتج ، ثم تسحب يدها فى رفق ..

ويمضى الحديث حلوا سجسجا كأنفاس الربيع فى أكمام الورد .. حتى تصبح الروحـان روحا واحدة ، وحتى يكون القلبان قلبا واحدا .

ويستأذن برونتج فى زيارة ثانية .. وتتحدد الزيارة فى نفس الميعاد .. يوم الأربعاء القادم ..

ويقبل يدها أشهى قبلة نعم بها فى حياته .. وينصرف ..

يا عجبا ..

ان اليزابث تثب كالقطة المعافاة من أريكتها .. وتذهب مسرعة الى النافذة لتتزود بنظرات من برونتج وهو يمرق فى الشارع .. وان ناظريهما ليتقابلان من بعيد فجأة .. وانه للحب اذن .. الحب الجميل الدافىء المبشر ..

* * *

وتمضى ثلاثة أشهر لكى يرتفع الستار عن الفصل الثالث .. ولكى نرى الطبيبين المداويين تشامبرز وفورو يعجبان من هذا التحول المفاجىء فى صحة اليزابث .. واطراد التقدم فى حالتها العامة بصورة لم تكن لتخطر لهما فى بال .. لقد كان شـفاء اليزابث شيئا ميئوسا منه .. فما السر فى هذه الوثبة المفاجئة

نحو الشفاء التام يا ترى ؟ اننا نعلم أنه الحب .. الحب صانع الأعاجيب .. ولكن الدكتور تشامبرز يقول انها الرغبة فى الحياة والتعلق بها .. ويوافقه الدكتور فورد على ذلك .. ونضيف نحن : انها الرغبة فى الحياة والتعلق بها من أجل الحب الذى أشرق بنوره فى ظلمات حياة اليزابث ..

ان الدكتور تشامبرز بدأ يفكر فى منع اليزابث من تناول البيرة السوداء نهائيا .. والدكتور فورد يستحسن ألا تقيم اليزابث الشتاء القادم فى جو انجلترا الغائم القاتم .. وهو يرى أن تقضيه فى الريفييرا الايطالية .. وتكاد اليزابث أن تجن من الفرح ... وهى تسأل الله ألا يعترض الوالد الكريم على هذه الرحلة .. كما ترجوه أن يعتدل مزاج هذا الوالد وهم يشيرون عليه بهذه الرحلة من أجل صحة ابنته .

ويخرج الطبيبان ..

وتستسلم اليزابث لأحلامها : انها تحلم الآن بالرحلة الايطالية .. ورؤية فلورنسا وڤينيسيا .. وڤيزوف .. ورحلة الى ڤيينا .. وهى تسرع الى كلبها فلش لتبشره بتلك الرحلة التى لابد أن يصحبها خلالها .. انها ستذهب الى بلاد رفائيل ودانتى وسورديللو .. بلاد الجمال والفن والسحر .. والشعر .. والموسيقى !

وتدخل أختها آرابل فتذكر لها اليزابث ما اقترحه الطبيبان من تلك الرحلة الايطالية ، وتبدى لها تخوفها من ألا يوافق أبوها فتطمئنها آرابل .. لأن مزاجه هذا الأسبوع كان صافيا ... وهو لابد موافق ..

ثم تستأذن بيللا .. العروس المرحة بيللا .. وتدخل تتبعها هنرييتا فى ثوب وصيفة الشرف .. جميلة كالزهرة .. حلوة كالنسيم .

وتثنى بيللا على جمال اليزابث ، ثم يتناول الحديث خالها مولتون فتقول هنرييتا عنه انه العدو رقم ١ للنساء .. ويوافق أخواتها .. ولكن بيللا تدافع عنه دفاعا حارا .. وتدهش كيف يصفه بناته بهذا وهو تارك لهم الحبل على الغارب فى دولة الحب .. فاليزابث يعبدها برونتج .. وهنرييتا يهواها الكابتن .. وچورچ يحب ابنة عمه ليزى .. وشارل ومس لا تقف العلاقة بينهما عند حدود الصداقة .. وخطيبى مستر بيفان يغار على غيرة شديدة من أوكى .. أوكتافيوس .. وخالى نفسه .. ألم يحب أمكن ؟ .. انه رجل ظريف يعبد الجمال .. وأنا أسمع دقات قلبه كلما ..

ويطرق الباب .. ويدخل مستر مولتون .. مستر ادوارد مولتون باريت .. الوالد الرهيب .. وخال بيللا الحبيب ..

ولا تكاد بيللا تلمحه حتى تثب اليه كالقطة الفارسية .. انها تحيط وسطه بذراعها وتربت بأصابعها الناعمة على جبينه العابس فلا يملك القط أن تتهلل أساريره لطراوة الأصابع اللدنة .. وها هى ذى تعاتبه وتذكر له رأى بناته فيه .. ثم هى تجلسه على أقرب كرسى ثم تجلس على ركبتيه فينسى الخنزير نفسه .. قائلا :

— « لو كان بناتى فى رقتك وجمالك وانطلاقك .. وحنانك (!) لكنت أسعد حالا مما أنا الآن ! » .

ثم ينسى الخنزير نفسه مرة ثانية .. فيضم اليه ابنة أخته الجميلة ضما شديدا وهو يتمتم كالعاشق قائلا : « لله كم أنت صغيرة ومليحة بدرجة مذهلة ! » .

وتسأله بيللا اللعوب قائلة : « ما هذا كله يا خالى ؟ أتريد أن تلتهمنى ؟

ثم يسألها وتجيبه :

— ما هذا العطر الفواح الذى تتعطرين به ؟

— عطر ؟.. أنا ..؟ (وتلصق به فى دلال واغراء) ألا تحبه ؟

— انى أكره العطور بوجه عام .. لكن عطرك .. انه شىء مختلف .

ويضرب الخنزير فخذ بيللا ضربة لها معناها فتتأوه .. لكنها

تغمزه بنظرة من عينها المداعبة وتقول انها لم تستعمل عطرا على الاطلاق .

— آه يا خالى العزيز .. لقد وصفتنى بأننى جميلة ومنطلقة وحنون ومليحة بدرجة مذهلة وعطرة .. كل هذا فى دقائق .. يمكنك أن تقبلنى !

ولا يعف الخنزير .. بل يأخذ رأسها فى كلتا يديه .. ويطبع على شفتيها الرائعتين قبلتين مفترستين .. ثم اذا هو ينزلها عن ركبتيه فجأة ويقول لها انه يريد الخلوة باليزابث ... « فأخرجوا جميعا ! » .

وتغمز بيللا بعينيها الى بنات خالها هامسة : « أهذا هو عدو النساء ! » .

فاذا خلت الغرفة الا من الوالد العزيز ومن اليزابث سألته هذه ذاهلة :

— « ما هذا يا أبى .. انك شديد الغرام ببيللا !

ويقول الرجل :

— ولم لا ؟ .. أليست ابنة أختى ؟ .. انها حلوة .. وأظنك كنت ترين أنظار أخيك أوكتافيوس تكاد تلتهمها (!) ولكن دعينا من هذا .. » .

ويحدثها عما قاله طبيباها عن التحدث المفاجىء فى صحتها ،

وما يبشران بها من وشك شفائها شفاء تاما .. وهو لا يكاد يصدق أن السبب فى هذا هو مجهود الدكتور تشامبرز .. وهنا تستدرجه اليزابث الى رحلة ايطاليا التى يقترحها طبيباها ، وما يكون لها من الأثر الكبير فى شفائها .. بفضل شمس ايطاليا المشرقة .

ومن هنا يبدأ الرجل فى معارضة الفكرة .. ويسمى سفرها الى ايطاليا .. لأن شفاءها لم يكن الا منة من الله من بها عليها .

ويشعر الرجل من حديث ابنته أن الجميع قد أخذوا بها علما قبل أن يستشار هو فى الأمر .. فيثور .. ويسمى هذه خيانة جرت من وراء ظهره :

— « واذا كان تحسن صحتك لابد أن يجلب عليك هذا التغير المحزن فى سلوكك فانى أرجو أن تظلى طريحة الفراش من جديد .. كفى كفى .. » .

وتعود اليزابث الى محايلته ، لكنه يزداد عنادا ويرفض فكرة الرحلة رفضا باتا .. لأن سفرها الى ايطاليا معناه وحدته وانفراده .. بالرغم من بناته الأخريات وأبنائه الآخرين .. انه لا يحب الا اليزابث ، ولا يشعر بالسعادة الا معها .. فكيف تريد هذه الرحلة التى سيكون لها فيها أحباء آخرون .. وعشراء جديدون .. أوه ! هذا لا يحتمل ..

وتطرق الباب الخادمة مس ويلسون لتقول ان مستر روبرت برونتج قد وصل ، وأنه فى الصالون .. فيبدو الضيق فى وجه الوالد .. وتسأله اليزابث عما اذا كان يود رؤية برونتج ؟ لكنه لا يود ذلك أبدا .. ويتركها ويخرج ، بعد أن يقول : — برونتج هذا يحسب أن بيتنا أصبح بيته الثانى .. دليلا على أن مستر برونتج أخذ يتردد كثيرا على منزل آل باريت .. للقاء اليزابث طبعا ! فهل صار عزولا للوالد العزيز !

ويدخل برونتج .. وتتلقاه اليزابث واقفة « مصلوبة الطول » هذه المرة .. فيبتهج ويتهلل .. ثم يسأل عما اذا كان الطبيبان قد وافقا على رحلة ايطاليا .. كأنما قد عرض عليها هذه الرحلة من قبل .. فاذا قالت اليزابث انهما وافقا عليها ، وقالتها بتحفظ .. وقالت انهما يستحسنان أن يكون السفر فى منتصف أكتوبر .. تهلل روبرت من جديد .. وقال انهما يقضاء الشتاء فى ايطاليا يستطيع اعادة كتابة « مسورديللو » التى لا يستطيع اعادة كتابتها فى انجلترا .. حيث المطر المستمر والضباب الذى لا ينقشع ..

وتبتسم اليزابث .. وتقول ان أمر السفر الى ايطاليا من

المستحيلات مالم يوافق أبوها .. وفى الغالب انه لن يوافق .. لأنه متعلق بها ، ولا يطيق عنها بعادا .

ويتجهم وجه برونتج .. ويقول فى ثورة عارمة :

« متعلق بك .. ولا يطيق عنك بعادا ؟ .. يا عجبا ؟ .. يبدو أن أباك رجل أنانى مغرم بأن يأخذ كل شىء ، ولا يعطى شيئا أبدا .. انه يبخل عليك بشعاع من ضوء أو ومضة من سعادة .. ولا يكفيه حتى المجازفة بحياتك نفسها فى سبيل أنانيته الضخمة .. اسمعى يا اليزابث .. انى لأعجب لهذا الرجل الذى اختارته الطبيعة ليكون أبا لك .. انى مرغم على التدخل بينك وبين أبيك لأمنعك وأمنعه من المخاطرة بحياتك باسم الطاعة العمياء .. اسمعى يا اليزابث .. لقد أحببتك قبل أن أراك .. وقبل أن أخطو عتبة هذا الباب .. بل قبل أن تلتقى عينانا خلال هذه الحجرة .. وسأحبك الى آخر عمرى .. ولن أسمح لمخلوق مهما يكن بأن يأخذك منى .. » .

ثم يضمها بين ذراعيه فجأة ، فتحاول اليزابث أن تتخلص منه .. من أسعد لحظة مرت بها فى هذه الحياة الدنيا .. فاذا عجزت توسلت اليه أن يتركها ويمضى .. لكنه بدلا من ذلك يطبع على شفتيها قبلة طويلة هائمة .. فلا تملك الا أن تطوقه

بذراعيها .. ثم .. تبكى .. فيقول لها : « ومع ذلك تريدين منى أن أخرج من حياتك يا اليزابث ! » .

وتعترف اليزابث بحبها .. كما تعترف لبرونتج أنه طبيبها الذى رد اليها نعمة الشفاء المسلوب :

« .. لقد أردت أن أعيش مذ عرفتك يا روبرت .. ان الحياة لم تعد تعنى شيئا سواك .. ان معناها منذ أن تلاقينا هو أن أرى وجهك .. وأستمع الى نبرات صوتك ، وألمس يدك : يا لله كم أصبح الهـواء لذيذا منعشا .. وكم أصبحت الدنيا جميلة خصبة وحلوة خضراء مرة أخرى ! » .

ويصارحها برونتج بأنه يريدها زوجة له .. ولو انتظـر تمام شفائها أعواما .. وتقول له انها قد لا تصلح زوجة له .. وحسبهما أن يبقيـا حبيبين ، وأن يحتفظا بسر حبهما عـلى الأيام .. « اننى يا روبرت لا أسمح بأن تضيع رجولتك هباء بسببى ! » .

ويفهم برونتج ما تعنى .. لكنه يجيبها بأنه سيتخذها زوجة لأحلامه .. لشعره .. لأمانيه .. ان حاجته اليها ملحة كالحيـاة نفسها .. انه لا يرضى أن يقف حبه له عند حدود الذكريات الجميلة .. المؤلمة .. « ان علينا أن نهرب بحبنا يا اليزابث اذا رفض أبوك أن نرحل من أجل سعادتنا .. من أجل حياتنا ..

ان الحياة تقدم لنا أحسن ما يمكن أن تقدمه .. فلا تحيليها بخوفك من أبيك الى حزن فاتر عقيم .. انني في حاجة الى من يقف الى جانبي في ساحة المعركة .. أريدك أن تكوني رفيقتي في السلاح .. » .

وتريد أن تتكلم .. فيسكتها بقبلة .. وينصرف .

* * *

وتمضي أسابيع قبل أن نكون في الفصل الرابع ..

ويكون الحب ماضيا في لعبته في هـذا البيت العتيد .. وتكون اليزابث قد استكملت نصف رحلتها الى الشفاء على الأقل .. انها الآن تنزل السلم وتصعده وتمشي ميلا في الحديقة أو ميلين .. وها هو ذا خطاب يصلها فتنهلل طربا وتقول لأختها آرابل انها سترحل عن هذا البيت ! وعن لندن كلها .. !

ثم تدخل هنرييتا وهي تكاد تطير من الفـرح .. أو من جنون الأمـل والحب .. انها تطلب من اليزابث أن تقـابل الكابتن ! الكابتن حبيب هنرييتا وخطيبها .. الذي جاء ليزورها في كامل حلتها العسكرية ..

« هل تصدقين أنه كان في قصر سـان چيمس يا اليزابث ليتسلم رتبته العسكرية من يد الملكة ڤكتوريا نفسها ! يجب

أن تريه .. سأحضره اليك .. ولكن .. يجب ألا يعلم أبى بشىء من هذا .. والا دمرنا تدميرا ! » .

وتقول اليزابث انها لا تستطيع مقابلة الكابتن كوك لأن برونتج يوشك أن يحضر لزيارتها الآن .. وتجيبها هنرييتا ان بوسعها أن تستبقى كوك حتى يفرغ برونتج من زيارته .

وتقول اليزابث انها تسلمت خطابا من والدها يقول انه استأجر منزلا خلاويا فى ليذرهيد على بعد عشرين ميلا من لندن لتقضى العائلة فيه الشتاء .. ومن يدرى فقد يكون سكنا دائما .. ثم تضحك ضحكة خبيثة وتقول ان الوالد المحترم أمضى خطابه هكذا : « والدك المحب ! » .

ثم تعبس فجأة .. لقد جعل أبوها سفرها الى ايطاليا مستحيلا .. وان له لهدفا من هذا كله .. وهى لهذا تلقى بخطابه فوق المدفأة ..

ولا تكاد تتحدث هى وآرابل عن الخطط التى يرسمها أبوهما فى الظلام .. وعن الأسرار التى يحتفظ بها سكان هذا البيت كل لنفسه .. حتى يصل برونتيخ بعد أن تخلى آرابل الغرفة للحبيبين الشاعرين ..

وتكون التحايا فى هذا اللقاء عناقا وقبلا .

ويرى الخطاب على المدفأة ، وتقول له انه من والدها ..

وأنه يقول لها فيه كيت وكيت .. وتقول ان أباها بدأ يغار عليها هذه الأيام ، بل ان الغيرة تشتد به من أصدقائها وصديقاتها على السواء .. وانه يحاول جاهدا أن يبعدها عنهم ببطء ووفقا لخطة مرسومة ..

ويبتسم برونتج .. ويقول ان هـذه الخطة .. أو ذاك الخطاب .. لا يعنى عنـده الا شيئا واحـدا .. انه لا يعنى الا أنهما .. أى اليزابث وبرونتج .. سيكونان فى ايطاليا هذا الشهر ! والا أنهما سيكونان زوجين فى غضون أسبوع ..

وتدهش اليزابث وتقول ان من غير الممكن ، بل من غير المعقول أن تصبح له زوجة ، لأن زواجها منه معناه جناية على رجولته وحياته .. بقدر ما يجلب عليها أفكارا مفزعة تلاحقها ليل نهار .. انها ان غدت له زوجة فسيفقد معها الحرية والانطلاق والمغامرات .. والحب العاطفى الذى يمكن أن تشبعه هى فى نفسه .. كما سوف تلاحقها أشباح أطفاله الذين لم تستطع أن تنجبهم له .. و .. و ..

لكنه يقاطعها .. ويقول لها انها لا تريد أن تتزوج لأنها تخشى والدها .. تخشى سجانها .. هذا السجان الذى يشك برونتج فى أنه شخص عاقل غير مدخول فى تفكيره .

« اسمعى .. لقد قررت وانتهينا .. ان عائلتك ستغادر هذا

المنزل فى الثانى والعشرين من هذا الشهر .. وعلى هذا فأمامنا أسبوعان لتنفيذ خطتنا .. وبعد أسبوع ستذهب عائلتك مع المستر هيدلى فى رحلة .. وبهذا يكون المنزل خاليا .. ويمكننا أن نلتقى فى كنيسة مارى لى بون ، حيث تتزوج فى هدوء وفى الصباح .. وتعودين بعد ذلك الى المنزل لتعدى كل ما تحتاجين اليه وبعد أيام قليلة نستطيع أن نتوجه الى سوثامپتن لنركب الباخرة الى ايطاليا .. وأحسب أن مس ويلسون لن تمانع فى السفر معنا .. لأن وجودها ضرورى لك ولى .. انتهينا .. لقد آن أن ننجو من هذا البيت المخيف .. والآن .. هاتى قبلة .. ولا تتكلمى .. » .

ويجثو على ركبتيه ليصلى فى معبد الحب بقبلة أو قبلتين .. ثم ينصرف .

ولا يكاد روبرت يتوارى عن الأنظار حتى تدخل هنريتا التى كانت ترقب انصرافه لتقول لاليزابث أن الكابتن سورتيز كوك .. هنـــا .. وألابد لاليزابث من مقـــابلته .. ثم اذا هى تدعوه .. فيدخل ـ ويدخل بجسمه الضخم ، ووجهه الجميل ، ولحيته الصغيرة .. وبكامل حلته العسكرية .. وقد تأبط قبعته العسكرية أيضا ..

وينحنى سورتيز كوك انحناءة رسمية .. ويقول انه سعيد

جدا .. لأنه فى يوم واحد حظى بلقاء الملكة فيكتوريا .. ولقاء مس باريت .. أى اليزابث .

وتسأله هنريتا .. « ولماذا لم تتقلد سيفك يا كوك ؟ أين تركته ؟ »

فاذا قال انه ليس من اللياقة فى شىء أن يتقلد السيف فى المنزل .. سبت هنريتا اللياقة وقوانينها .. وذهبت لتحضر السيف ..

ويرتبك الكابتن ارتباكا شديدا ، ويحمر وجهه ويصفر وهو فى حضرة اليزابث .. وكلما حاول أن يقول شيئا لم يستطع .. وتأتأ وتمتم ولم يبن .. ولكن اليزابث تفهم أنه كان يريد أن يحدثها عن حبه لهنريتا .. وأنه يريد خطبتها .. فاذا دخلت هنريتا بالسيف ولاحظت ارتباك كوك ، تكلمت هى بلسانه وأفصحت عما يريد ..

وتتلطف اليزابث وهى تبدى أسفها لما يحتمل من عدم إبرام هذه الخطبة بسبب ما تجرى عليه الأمور فى هذا المنزل رقم ٥٠ من شارع ويمپول .. ويحسب كوك أن ما تعنيه اليزابث أسباب مادية .. فيعترف بأنه رجل فقير قليل الراتب .. وأنه مستعد أن يعتزل منصبه ويبحث عن عمل آخر مربح .. وأنه .. وأنه ..

وتبتسم اليزابث وتقول له « كابتن كوك .. لوأنك أمير أولدرادو أرض الأحلام والثراء .. وجئت تتودد الينا وفى احدى يديك مايثبت أنك سليل أحد نبلاء القمر ، وفى اليد الأخرى شهادة بحسن السير والسلوك من أقرب كنيسة ... فسوف يطردك أبى .. هل فهمت ؟

وتتدخل هنريتا .. وتقول انها تمنعه من اعتزال الخدمة .. وتتقدم لتقلده السيف ، ليبدو فى أبهى حلته العسكرية الكاملة !

وبينما هى تربط السيف الى فخذه الأيسر بعد أن أخطأت فكادت تربطه على الفخذ الأيمن اذا الباب ينفتح .. ويدخل .. الوالد المحترم ، قيصر آل باريت !

ويجمد الدم فى عروق هنريتا .. وعروق الكابتن .. وترتبك اليزابث .. وتقوم هنريتا بتقديم والدها الى الكابتن .. وبالعكس (!) .. قائلة انه صديق عظيم لأخويها چورچ وأوكتافيوس .. فيقول أبوها انه لم يتشرف بمعرفته من قبل ..

ويتأتى الكابتن بكلام منزعج غير مفهوم .. وتقول اليزابث انه — أى كوك — قادم توا من قصر بكنجهام .. لقد حظى بلقاء الملكة .

ويلحظ كوك تلك الربكة الشاملة التى سببها وجوده فى بيت هذا الرجل فيستأذن وينصرف .. وتهم هنرييتا بتوصيله الى الباب فيمنعها أبوها .. لأن الخادم يستطيع القيام بهذه المهمة .

ويقول الوالد الطاغية لاليزابث : « يبدو أن قائمة زوارك من الرجال أخذت تزداد طولا وعرضا يا مس ! ويبدو أن صلة هنرييتا بهذا الرجل ورفع الكلفة بينهما شىء قديم ويرجع الى تاريخ طويل .. اذ منذ متى تعودت هنرييتا أن تعلق له سيفه ؟

وتقول له هنرييتا : « انى لم أره فى حلته العسكرية من قبل ! » .

ويجيبها أبوها ساخرا : « والظاهر أنك لن ترية منذ اليوم لا فى حلته العسكرية ولا فى حلته المدنية .. » ثم يقول لاليزابث :

« ان ما رأيته هنا الآن أكد لى حكمة القرار الذى اتخذته . ان هذا البيت يتحول بسرعة مذهلة الى عش للمقابلات الغرامية لنصف سكان لندن .. وليس يهمنى أن أتحرى عما اذا كان جميع من يزورون هذا المنزل من أصدقاء أبنائى .. لذلك سننتقل الى منزل بعيد لا يزعجنا فيه أصدقاؤكم .. وفى فصل الشتاء على الأقل » .

وتثور هنريتا محاولة أن تدافع عن الكابتن ، فيحدجها أبوها بنظرة قاتلة ويقول لها : « ما صلتك بهذا الشخص ! » فاذا قالت انه صديق سألها عما اذا كان مجرد صديق ؟ ثم يقبض على معصمها بقسوة قائلا : « يا كاذبة ! » ، وتصرخ المسكينة ولا تملك الا أن تقول : « اننى أحبه ! أحبه ! » .

وكأن اعترافها بحب كوك نكأ ما فى نفس الأب الفهد من جراح قديمة فجذب الفتاة الى الأرض وهم أن يبطش بها .. لولا أن صرخت به اليزابث : « انى أمنعك .. دعها .. دعها على الفور .. » فاذا تركها تكومت على الأرض ودفنت وجهها فى كلتا يديها .. وراحت تنشج .

ويقول باريت لاليزابث : « وكنت تعلمين أمر هذا الدنس ؟ » .

وتجيبه اليزابث : « أجل .. وكنت مستعدة لمساعدتها عليه لو قدرت على ذلك ! » .

وتخشى هنريتا أن ينفجر البركان فيقضى على أختها المريضة الحبيبة فتحنو نحو والدها وتتعلق بساقيه وتقول :

« أبى .. أعترف بأنى قد خدعتك .. وأنا آسفة .. ولكن .. ما حيلتى .. اننى أحبه وهو يحبنى .. ولو علمت أنت بهذا لطردته من المنزل .. انه رجل فقير .. لكنه رجل طيب .. وليس

عيبا أن أحبه .. ولماذا أحرم نفسى من نعمة الحب .. انى أريد الحب ولا يمكن أن أحيا بغير الحب .. لقد كنت أنت تحب أمى كما كانت تحبك .. فلماذا لا تفهمنى وتشفق على ! » .

ويأمرها بالجلوس على الكرسى القريب منها ويقول لها وتقول له :

— « منذ متى عرفت هذا الرجل ؟

— « منذ أكثر من سنة .

— وكنت تقابليه كثيرا ؟

— « نعم .

— « بمفردك ؟

— « نعم .

— « وأين ؟

— « فى الحديقة » وتسارع اليزابث لتقول : « وعندى .. هنـا » .

ويقول الأب المغيظ المختق : « هكذا ! يا لها من أرجاس ونجاسات تجرى سرا تحت سقف بيتى .. وفى تستر ممن كنت أومن بأنها طاهرة بريئة .. طيبة ! » .

ثم يلتفت الى هنريتا ليقول :

« استمعى .. شىء مثل هذا يحدث فى بيتى منذ عـام

أو عامين .. وكنت أحسب أننى سحقت نزعاتك الشريرة الشيطانية .. وقد تبين أننى كنت مخطئا .. اذ كان لابد من اتخاذ سياسة أشد قسوة معك .. والآن .. ان لم تعطنى عهدا الآن بألا تقابلى هذا الرجل ولا تتصلى به فلسوف أقذف بك الى الشارع .. لتغادرى هذا البيت وليس عليك الا ما يسترك من ملابس على ألا تعودى اليه أبدا .. وطالما كنت حيا .. فاختارى لنفسك أيتها الشريرة ! » .

وتسأله هنريتا فى ثورة مكتومة :

« وهل .. لا .. تخشى أن أمقتك بسبب ذلك .. الى الأبد ؟ » .

ويقول الأب الوحش : « وماذا فى هذا ؟ شىء تافه جدا .. بل أتفه من لا شىء ، وسيكون لى حساب مع هذا الكابتن كوك !

وتقبل هنريتا مرغمة أن تعطى عهدها ، فيقول أبوها :

ـ « هاتى انجيلك يا اليزابث ..

وتقول اليزابث ان انجيلها كان ملكا لأمها ، وهى لا تحب أن يستخدم فى مثل هذا الغرض . ولا تبالى بتهديدات أبيها .. فيدعو مس فلورنس لتحضر له انجيله من غرفة مكتبه .. فاذا جاء الانجيل أمر هنريتا أن تردد وراءه ويداهما على الانجيل :

« أعاهدك عهدا مقدسا على ألا أقابل كابتن كوك مرة أخرى أو أراسله » .

ويأمرها بالانصراف .. فتنصرف .. وقد انصرف عنه قلبها الى الأبد .

ويسأل اليزابث عما اذا كان لديها ما تود أن تقوله ، فتجيب بالنفى .. وهنا يقول :

— « حينئذ .. أتركك مع استيائى البالغ .. ولن أراك مرة أخرى ولن يكون لى شأن بك حتى يلين قلبك القاسى .. وتندمى على ما ارتكبت من اثم .. وتسألیه العفو والمغفرة » .

ويخرج دون أن يحييها بتحية .. وتسرع اليزابث فتدق الجرس وتحضر مس ويلسون .. ولا تتردد اليزابث الحلوة فى أن تفشى لها النبأ الكبير .. ولكن بعد أن تقاسمها ويلسون على ألا تذيع منه شيئا ..

« اننى سأتزوج مستر روبرت برونتج يوم السبت المقبل ! وسنسافر معا الى ايطاليا .. فهل تصحبيننا يا مس ويلسون ؟ » .

ولا تتردد الفتاة الطيبة ..

وتعطيها اليزابث خطابا يحمل موافقتها على الزواج من برونتج ، وعلى جميع خططه .. لتسلمه اياه ..

وفى المنظر الأول من الفصل الخامس نكون مع مسز برونتج فى حجرتها .. أجل .. مسز برونتج أو اليزابث .. أو مس مولتون باريت سابقا .. انها بادية القلق .. والدقائق تسرى بطيئة زاحفة .. انها على ميعاد .. تنتظر العربة التى تحملها من هذه الدار .. وقد لا تراها بعد اليوم ..

ولقد كتبت خطابات الى أخواتها واخوتها جميعا تودعهم .. وتسأل الله لهم الخير .. فاذا ذكرتها مس ويلسون بما سوف يحدث هذه الليلة حينما يقرأ مستر مولتون باريت خطاب مسز برونتج اليه .. ويعلم منه أن ابنته متزوجة منذ أسبوع .. وأنها تزوجت من وراء قفاه .. يا للهول !

ثم تدخل هنرييتا حاملة خطابا من الكابتن كوك.. والخطاب موجه الى اليزابث وباسمها خوفا من أن يقع فى يد مستر مولتون — الأب — الذى يفتح جميع خطابات هنرييتا .. ان الرجل المسكين يقول ان فرقته نقلت الى سومرست .. وهو لهذا كتب خطابا مغلقا لهنرييتا داخل هذا الخطاب .. وتسرع هنرييتا فتتناول الخطاب ثم تفضه .. فتقول لها اليزابث :

« أنسيت أنك عاهدت أباك على الانجيل ألا تراسلى كوك ولا تقابليه ! » .

وتجيبها : « لا بأس .. وماذا لو حنثت فى قسم الانجيل هذا اليوم ؟ » .

وتقول بعد قراءة الخطاب ان سورتيز كوك يقول انه سوف يسافر الى سومرست يوم الأربعاء .. ويجب أن يلقى هنرييتا بمكان كذا يوم كذا فى الساعة كذا .. وهى لذلك سوف تلقاه لتحنث فى قسمها حنثا عظيما ، ولتكذب على أبيها المحترم ما وسعها الكذب .

ثم تدخل مس ويلسون فى لهفة لتقول ان مستر مولتون قادم للقاء ابنته .. ابنته اليزابث طبعا .. فتشير اليها بمواراة ما أعدته لسفرها .. وتقول لهنرييتا ان أباها لم يرها منذ عشرة أيام لأنه يخاصمها .. فلنر !

ويدخل مستر باريت فيقلب نظراته فى ابنتيه وفى الخادمة ثم يسأل هنرييتا بعض الأسئلة .. أين كانت وأين تذهب وماذا صنعت .. وتكذب عليه هنرييتا بالطبع .. بالرغم من أنه ذكرها بقسمها .. ويطلب الى الفتاتين أن تنصرفا .. لأنه يريد أن يتحدث الى اليزابث ..

ويتجه الأب المحب . أو الأب الولهان .. الى ابنته ليعتب عليها أنها شجعت أختها على سلوكها الشائن .. ثم يقول انه لم يأت لهذا على كل حال .. بل أتى ليصف لها ما لقيه من

عذاب طوال هذه الأيام العشرة التى لم يرها فيها خلالها .. ويقول انه كان يقاوم رغبته فى لقائها ليلة بعد ليلة حتى لم يعد يحتمل أكثر مما احتمل .. لأن شوقه الى وجهها والاستماع الى صوتها أصبح عذابا وضنا (!) ان الرجل لا يكاد يخفى مشاعره نحو اليزابث .. وهو يتدرج الى الحديث عن ذلك بأن اليزابث فقط هى التى ولدت حينما كان الحب يصل ما بينه وبين أمها .. فلما وقعت البغضاء بينهما .. وأنجب منها أبناءه بعد ذلك .. كانوا ثمرة البغض .. ومن ثمة فهو لا يحب أحدا منهم .. كما يحب اليزابث .. لقد ولدوا حينما تلاشى الحب ، وحل محله الخوف ..

وتذهل اليزابث وتسأله عما اذا كان كل هؤلاء الأبناء قد ولدوا ثمرة للخوف وفى جو من الرعب والهلع :

ويعود الى سؤالها عما اذا كانت قد شجعت هنرييتا على المضى فى حبها للكابتن .. هذا الحب الدنس .. فتثور وتقول له :

— « اسكت .. ليس لك أى حق فى الحديث عن حب هنرييتا بهذه اللهجة .

ويقول لها : « حب هنرييتا ؟! أيتها الحمقاء الصغيرة البائسة أو ماذا تعرفين عن الحب ؟ » الحب شهوة العين .. وأحط رغبات الجسد !

وتجيبه اليزابث انها لا تريد الاستماع اليه ، فيقول وقد أمسك بمعصميها :

— « بل لابد أن تسمعى .. أتظنين اننى كنت أحرس بيتى كالتنين من هذا الشيء الذى يسمونه الحب لو لم أكن قد عرفت من تجاربى الخاصة كل ما يجلبه من قسوة وخسة وكراهية وتبكيت للضمير .. لقد صرعته فى نفسى بحول الله طوال سنين من الزهد المؤلم .. وسوف أقى منه أولادى ما حييت .. أتفهمين ؟ » .

ويلاحظ أنها ترتعد وأن يديها أصبحتا كالثلج فى يديه فاذا هو يسلس ويلين ويقول : « ولكن .. بحق السموات لا تجعلى هذا يقف حاجزا بيننا .. لقد بدأت أشعر أنك تفلتين منى فى الشهور الأخيرة .. فلا تنسى أن حبك هو الشيء الوحيد الباقى لى فى هذه الحياة .. » .

وتقول له : « لقد كنت تملك حب أمى يوما ما .. وتستطيع أن تملك حب أبنائك جميعا .. فلم لا ؟ ..

ويقول انه كان يمثل فى ذلك دور الجبان .. وهو الآن يفضل أن يكون مكروها من الدنيا كلها على أن يكسب حبا كهذا !!

ثم ينقض عليها فيجعلها بين ذراعيه ، وملء حضنه على كره

منها وفزع وهـو يقـول : « اسمعى يا اليزابث .. اسمعى يا حبيبتى .. اننا سنغادر هذا البيت فى الأسبوع المقبل الى الريف .. وهناك .. (ثم يضمها ضمة شديدة) لن يقف شىء بيننا .. فاذا كنت تريدين لى السعادة يا حبيبتى فيجب أن تتطلعى الى وتعتمدى على ولا تركنى الى سواى .. يجب أن تقاسمينى أفكارك وآمالك ومخاوفك .. يجب أن يكون لى كل قلبك وجميع روحك .. (ويضمها مرة ثالثة فى حنـان وتوسل .. فتفلت منه وتبتعد عنه فى ذعر وخوف وتقول) :

— « لا أستطيع احتمال هذا .. أبى .. دعنى .. أتوسل اليك !

ويقول الوالد الذئب :

« سأصلى من أجلك ! » .

وهكذا يعود الى التستر بالدين كالكافر الذى يتغفل وثنـه !

وتقول اليزابث : « نعم .. اذهب فصل من أجلى .. ومن أجلك أيضا » .

واذا انصرف الأب المجنـون .. عدو نفسه .. دخلت مس ويلسون لاهثة فتقول لها اليزابث :

— « مس ويلسون .. استعدى .. يجب أن نرحل عن هذا

المنزل فى الحال .. ساعدينى على ارتداء لفاعى ! .. ولنتجول فى الشارع ان لم تكن العربة قد وصلت .. يا مس ويلسون » لقد جرت بينى وبين أبى أمور تضطرنى الى مغادرة هـذا المنزل من فورى .. اننى الى اليوم لم أكن أعرفه على حقيقته .. انه رجل ليس من صنف الرجال .

ولا تنسى اليزابث أن تأخذ خاتم زواجها الذى كانت تخفيه الى ميعـاده .. وتخرج من المنزل الى الشـــارع .. ومعها مس ويلسون .

* * *

وفى المنظر الثانى من الفصل الخامس والأخير تدخل آرابل حجرة أختها اليزابث لأمر ما .. وها هى ذى تناديها .. ولكن .. ليس من سميع .. ثم ها هى ذى تجد خطابا كتبته اليزابث فتفضه .. ولا تكاد تلقى على ما فيه نظرة حتى لا تصدق عينيها .. بل انها لتستولى عليها نوبة هستيرية فتصيح وتضحك وتستنجد .. ويدخل اخوتها چورچ وشارل وأوكتافيوس ليروا ماذا بها .. لكنها تستمر فى الضحك .. ثم يدخل اخوتها الثلاثة الآخرون ألفريد وسبتميماس وهنرى ليروا ما الخبر .. ولكن أرابل تمضى فى نوبتها الهستيرية .. ويحضرون الماء والكولونيا .. ولكن بلا جدوى .. ثم تدخل هنريتا فتشد أختها شدا ..

فاذا أختها تعلنها .. وتعلنهم جميعا .. بالنبأ المفاجىء البديع .. « لقد تزوجت اليزابث .. تزوجت .. ورحلت — تزوجت المستر روبرت برونتج .. وتزوجته منذ كذا يوما .. وقد كتبت لنا جميعا هذه الخطابات .. ثم ها هو ذا خطابها لأبينا .. الله .. الله ! » .

ويكون الأولاد جميعا .. هؤلاء الأولاد المرحون .. بملابس العشاء .. ويسمع أبوهم تلك الضجة فيحضر وهو بملابس السهرة .. ليفض خطاب اليزابث .. ولينفض عليه النبأ المفزع الهائل .

وتتقدم اليه هنرييتا لتقول له فى تأثر وتوسل : « باب .. يجب أن تسامحها .. سامحها يا أبى .. سامحها من أجلك أنت وليس من أجلها هى .. لقد كنت أظن أننى كرهتك .. ولكن كراهيتى لك شفقة عليك .. فاذا كنت تشفق على نفسك فسامحها ! » .

مسكين هذا الرجل ..

انه ينظر خلال النوافذ وفى كل ركن من أركان الحجرة نظر المشدوه المأخوذ .. وها هو ينادى ابنه أوكتافيوس ليقول له : « يجب أن ننتقم منها فى شخص كلبها الذى تحبه . اذهب

به يا أوكتافيوس الى الطبيب البيطرى ليقطع له ذنبه .. اذهب .. اذهب .. » .

ولكن هنرييتا تقول لأبيها :

« كلبها .. لقد ذكرت لى فى خطابها الى تقول انها أخذت فلش معها ! » .

وهنا لا يملك مستر ادورد مولتون باريت صاحب المنزل رقم ٥٠ فى شارع ويمپول .. الا أن يمزق خطاب اليزابيت الحبيبة اربا » .

ثم يلقيه تحت قدميه !

* * *

وبعد .. فمن هذه الخلاصة الخاطفة للمسرحية التى تحمل أسباب نجاحها يتضح فن بيزييه .. لقد جمع زبدة ما جاء فى الأخبار التاريخية من قصة غرام شاعر انجلترا الأشهر روبرت برونتج ، وصاحب The Ring & the Book احدى الروائع العشر فى تراث الانسانية كله ، باليزابث باريت ، أو مسز برونتج فيما بعد .. كما صور لنا صورة حية كاملة للعصر الڤيكتورى ممثلة فى هذا المستر ادورد مولتون باريت .. الذى لم يكن حفاظه والتزامه آداب السلوك الڤيكتورى المتزمت الا غشاء من النفاق يخفى تحته شهوة متلظية مكبوتة ، وانحرافا طاغيا

لم يكن يخفى على أبنائه وبناته .. أولئك الذين كانوا يمثلون روح الثورة التى تغلى مراجلها ، وتوشك أن تنفجر لتعصف بتقاليد القرن التاسع عشر كلها .

أما سمة الجنس فقد استطاع بيزيه أن يحبسها من نفس مولتون باريت فى قمقم لطيف .. قمقم زجاجى لا ينكسر . نرى ما فى داخله ولا ينفجر فيجرح حياءنا أو يخدش خفرنا .. وهو فى ذلك يختلف عن كتاب الجنس المسرحيين ، وفى مقدمتهم فدكند وشيرب وشنتسلر وسترندبرج وبريبه وهاوپتمان .. من أساطين هذه المدرسة الجنسية الطبيعية الذين لم يكونوا يحفلون بحياء أو خفر أو خجل وهم يعرضون ألوان السيكلوچية الجنسية فى مسرحياتهم .

لقد تخير بيزيه لمسرحيته الاخبارية هذه فترة قصيرة خصبة قد لا تتجاوز الأشهر الستة من ذلك التاريخ الذى عرضنا موجزه فى أول الحديث .. هى فترة الغرام الذى نشب خفية بين الشاعر برونتج والشاعرة اليزابث .. ثم لم يلبث أن كان من أمره ما كان .. عارضا فى خلال ذلك كيف كانت تحيا أسرة باريت فى رقم خمسين من شارع ويمپول بمدينة لندن .. غير ناس أن شاعرين يضطلعان بالبطولة فى مسرحيته .. ومن هنا هذا الجو الشعرى اللذيذ الذى كان يتنفس فيه

الشاعران أنسام الحب .. ويكاد حديثهما كله أن يكون فيه عبيرا فواحا وغزلا صافيا وأنفاسا وردية .. مما يقرأ فى المسرحية نفسها ولا يشوه بتلخيصه ..

ولعل من أحسن ما نختم به هذا الحديث عن تلك المسرحية ما كتبه عنها الأستاذ ألارديس نيكول حيث يقول ما خلاصته :

« ان من أعظم المسرحيات التاريخية الناجحة فى السنين الأخيرة مسرحية ريودولف بيزييه : « آل باريت .. رقم ٥٠ شارع ويمپول » (١٩٣٠) التى ظلت تعرض فى لندن حوالى عام ونصف عام .. وهى أيضا تهدف الى أسلوب أرقى مما يسمح به أسلوب الكتاب الطبيعيين .. ويعلى من جوها الشعرى جعل شخصيتيها الرئيسيتين شخصيتى روبرت برونـــج وزوجتـــه اليزابث باريت .. ويرجع نجاحها الى حد ما الى اضطلاع الممثل النابغة الممتاز سير سيدريك هاردوك فى دور باريت ، ومستر سكوت سندرلاند فى دور برونج ومس جون فرانكون ديفز فى دور اليزابث .. الا أنها ، حتى ولو لم يقم بتصوير أدوارها الرئيسية هذا التصوير الخيالى البديع ، يمكن أن تحظى باقبال الجماهير ، لما توخاه فى بنائها هذا الكاتب الصناع من مهـــارة فائقة جعلتها أقرب الى ما يمكن أن نسميه ميلودرامة أدبية فكاهية .. اذ أنها ببطلها الوغد — مولتون باريت — وبطلتها

الحزينة — اليزابث باريت — وشخصياتها البديعة الأخرى — قد تميزت بأنماط ومواقف درامية جذابة .. والى هذه الأنماط وتلك المواقف يرجع معظم ما حظيت به من شعبية وشهرة هائلة .. ومن خلال دراسة بيزييه للعاطفة الشعرية ، والغريزة الغريبة الضالة والمنحرفة نرى العقدة تتطور شيئا فشيئا وبصورة ميلودرامية ، بحيث نرى البطلة الضعيفة الواهية وهى تتلوى فى قبضة أبيها الوغد .. بينما هذا المحب النبيل البطل مستعد للظفر بحبها مهما اعترض سبيله من مصاعب وعقبات .. ونحن لا نقول هذا بقصد توجيه أى شىء من النقد التعسفى الى مسرحية بيزييه .. بل نحن نقوله لتبيان ما يتميز به الكتاب المسرحيون اليوم من قوة وحسن تخيل وفاعلية مما لم يكن متوفرا عند شعراء وكتاب من طراز تنيسون (فى وقت أحداث المسرحية) . ان مما لا يجب اغفاله فى الكتابة للمسرح مراعاة اشتمال المسرحية على العناصر التى تجتذب جمهور المتفرجين .. وعمل بيزييه هنا يمكن النظر اليه بوصفه عملا رمزيا لهذه الطريقة الحديثة .. طريقة التزاوج بين الموقف الشعبى المحبوب (الميلودرامة) وبين العامل الأدبى الخيالى .. اذ من مثل هذا التزاوج نشأت أيضا درامة عصر اليزابث » .

درينى خشبة

شخصيات المسرحية

ادوارد مولتون	ـ	باريت
الفريد مولتون	ـ	باريت
جورج مولتون	ـ	باريت
شارل مولتون	ـ	باريت
هنري مولتون	ـ	باريت
سبتيماس مولتون	ـ	باريت
أوكتافيوس مولتون	ـ	باريت
أرابل مولتون	ـ	باريت
هنريتا مولتون	ـ	باريت
اليزابث باريت مولتون	ـ	باريت
روبرت براوننج	ـ	
كابتن و . سورتيزكوك	ـ	
هنري بيفان	ـ	
دكتور تشامبرز	ـ	
دكتورر فورد ـ ووترلو	ـ	
بلا هيدلى	ـ	
ويلسون	ـ	

الفصل الأول

حجرة اليزابث باريت وهى حجرة تستعمل للنوم والاستقبال. وتقع فى ٥٠ شارع ويمبول بلندن • الى الخلف نافذة تطل على الشارع • الى اليسار باب والى اليمين مدفأة • والأحسن أن نقدم وصفا للغرفة بكلمات اليزابث نفسها فى خطاب الى صديق لها

« ••• السرير أقرب الى أريكة منه الى سرير ، والمنضدة الكبيرة الموجودة بالغرفة تتجه حافتها الى الصوان ، ووضعت الأريكة حيث يجب أن توضع ـ تجاه كرسى فوتيل : ويتوج « البوريه » أكليل من الأرفف (من الخشب الأبيض المحلى بصفوف الغنم الأسبانى القرمزى) لحمل كتبى • «واللوفومانو» الموجود فى مواجهته قد تحول الى صوان يعلوه اكليل آخر من الأرفف • تمثالان نصفيان لتشوسر وهوميروس يطلان على ديوانين من الشعر الانجليزى واليونانى واستقرت ثلاثة تماثيل أخرى فوق الصوان ••• وفى النافذة ثبت صندوق عميق ملىء بالطمى تنبثق منه أزهار الفاصوليا الحمراء وأبو خنجر ونباتات متسلقة وان كان قد كدر صفوها منذ أيام قليلة جذر كبير من نباتات العليق الذى بلغت فروعه المتسلقة من الاتساع والطول الى حد أن رؤوس محاليقها قد تعلقت بنافذة هنريتا بالطابق العلوى بينما تغطى محاليقها السفلى جميع ألواح زجاج نافذتى ••• » •

الوقت مساء ، النافذة مغلقة والستائر مسدلة ، والنار تتوهج قليلا ، المصباح يضىء •

اليزابث راقدة على أريكتها ، وعلى قدميها بطانية صغيرة يجلس الدكتور تشامبرز بجانبها ، وهو رجل مسن ذو لحية بيضاء ، يحبس نبضها ، والساعة فى يدها . بقايا فلش ـ كلب اليزابث يرقد فى سلته ، وعلى المنضدة صينية عليها بقايا طعام ، وقدح من الزنك .

تشامبرز : (يترك معصمها ويضع ساعته فى جيبه) : احم — نعم . ان ما يقلقنى هو الهبوط المتزايد فى حيويتك . لا حياة فيك — على الاطلاق .. ما عسانا نفعل فى هذا ؟

اليزابث : (بلطف وخفة) : حسن ، يا دكتور ، لو حبست فتاة فى حجرة واحدة عدة سنوات فلا يمكن بحال أن تجدها تتدفق حياة وقوة ! لماذا لا تنصح بعلاج مثير من باب التغيير ؟

تشامبرز : مثير ، اه ؟

اليزابث : الجرى فى الحديقة ثلاث مرات كل صباح — التمرين بالدمبلز (حديد لتمرين العضلات) — برنامج للرياضة البدنية — رحلة بحرية طويلة ..

تشامبرز : بودى لو استطعت ذلك ، يا عزيزتى !

اليزابث : من الغريب أن أفكر فى هذا الآن — لكنك

تعرف ، يا دكتور ، اننى منـذ طفولتى كنت مشاغبة لا يقر لى قرار .

تشامبرز : نعم لقد سمعت كل شيء عن هذا — وما زالت لك عقلية صبية مشاغبة ! والحق يا مس « با » أوه ، أرجو المعذرة يا عزيزتى اليزابث ، لقد جرى اسم التدليل الجميل على لسانى عفوا . انى أسمعه دائما من اخوتك وأخواتك ..

اليزابث : (وهى تبتسم) أوه ، أرجوك ..

تشامبرز : الحق انى لست متأكدا من أن عقـلك ليس نشطا للغاية . انمشكلتك أنك لن تعرف الاعتدال أبدا فى أى عمل تقومين به — حتى فى القيام بدور المريض ! حقا ، أليس من المحتمل اننـا مغالون فى الدراسة والاطلاع ؟

اليزابث : بالطبع لا .

تشامبرز : أما زلت تجهدين نفسـك فى دراسـة اللغة اليونانية ؟

اليزابث : أوه ، ليس أكثر من ساعتين أو ثلاث فى اليوم .

تشامبرز : احم ، ألست مشغولة بأى عمل أدبى الآن ؟

اليزابث : أوه ، عدة مقالات لمجلة الاثينيوم وصحف أخرى .

تشامبرز : الاثينيوم — يا عزيزتى ، يا عزيزتى ! .. الآن لماذا لا تتخلين عن هذه الأعمال الثقيلة بعض الوقت ، وتتجهين بذهنك الى شيء أخف وأسهل من باب التغيير ؟ .. الشعر ! انك لا تهملين أمر شعرك على ما أرجو ؟

اليزابث : تعنى أن الشعر شيء — خفيف وسهل! (تضحك) أوه ، يا دكتور يجب أن أذكر ذلك لمستر روبرت براوننج حين أقابله غدا !

تشامبرز : روبرت براوننج ؟ شاعر صديق ، اه ؟

اليزابث : لا تقل لى انك لم تسمع عنه اطلاقا !

تشامبرز : حسن ، يا عزيزتى ، أنا لا أهتم بالشعر كثيرا ، كما تعلمين .

اليزابث : هذا واضح ، ومع ذلك ، أرجو أن تقرأ قصيدة « سورديللو » لمستر براوننج — ثم عد ثانية وقل لى ان الشعر — خفيف وسهل !

تشامبرز : سأدون ملاحظاتى عليها .. حسن ، حسن ، أعتقد

أنه يجب ألا أحرمك من رياضتك الذهنية ما دمت ترتاحين اليها .

اليزابث : أرتاح اليها ! أوه يا دكتور ، انى أرجف حين أفكر فيما كانت تؤول اليه حياتى لو لم أتجه الى التأليف والدرس !

تشامبرز : احم . نعم . تماما . بالفعل .. ليس هذا بيتا بهيجا تحلو الاقامة فيه لأى انسان — على الأخص اذا كان قعيد المرض .

اليزابث : لا ، لا أظن ذلك .. بودى لو كان أبى أكثر مرحا ! اذن لتغير الحال بالنسبة لنا تغيرا كبيرا جدا .

تشامبرز : اه ، أكثر مرحا ؟ ليس هذا شأنى ، لكن حين يكون المرء متمتعا بصحة جيدة ، ومال وفير ، وأسرة سعيدة من البنين والبنات ، فلا أرى سببا يدعوه لأن يجعل الحياة عبئا ثقيلا عليه وعلى الآخرين ! .. انه شيء يدعو للدهشة — لا يمكن تصديقه — حسن ، هذا أمر لا يعنينى كما قلت . ولكنك أنت ، يا عزيزتى من يهمنى أمرها كثيرا ويشغل بالى ! بالطبع ،

كان الشتاء بغيضا ، وشهور الربيع هذه دائما صعبة . الحقيقة انه يجب ألا تعيشى فى انجلترا مطلقا . ايطاليا هى أنسب مكان لك .

اليزابث : ايطاليا ! أوه يا دكتور ، أى حلم رائع !

تشامبرز : نعم ، وأخشى أن يبقى حلما .. ولكن بودى لو كان فى استطاعتى أن أصف لك نوعا من التغيير — شيئا ما — أى شىء — لأخلصك من هـذا الوسـط الموحش بعض الوقت .. حدثينى الآن يا مس اليزابث ، هـل حدث أن جازفت وسرت على قدميك فى الآونة الأخيرة ؟

اليزابث : كلا على الاطلاق تقريبا . بل لقد فقدت جرأتى بعد أن سقطت على الأرض فى عيـد الميلاد الماضى .

تشامبرز : أذكر ذلك .

اليزابث : يقوم والدى أو أحـد اخوتى ، كما تعرف ، بحملى فى الصباح من فراشى الى الأريكة ، وفى المساء يعيدنى الى فراشى . وفى بعض الأحيان ، حين أجد فى نفسى الجرأة تساعدنى خادمتى على عبور الحجرة .

تشامبرز : أتجدين فى نفسك بعض الجرأة الآن ؟

اليزابث : ليس على وجه التحديد .

تشامبرز : على أى حال ، سنحاول أن نسير خطوة أو اثنتين . (ينهض ، يمسك كلتا يديها) بهدوء — ببطء — لا داعى للعجلة ، (تنهض بمساعدته ، وتقف على قدميها) . هذا جميل .

(تترنح قليلا . يسندها) .

أتشعرين بدوار .. هه ؟ .

اليزابث : قليلا ..

تشامبرز : أغمضى عينيك واستندى علىّ . سيزول على الفور .. أتشعرين بتحسن ؟

اليزابث : نعم .. أوه ، نعم ..

تشامبرز : تمهلى قليلا ، واخطى بحذر . لا تنفعلى ، لن أترك يديك .. (تخطو خطوتين مضطربتين ، وهو يسير الى الخلف ممسكا بيديها) . لا — لا تنظرى الى الأرض . انظرى الى الأمام .. هذا مدهش — جميل — رائع — رائع ..

(بعد أن تخطو ست خطوات تضطرب وتترنح) .

اليزابث : أوه يا دكتور ! .. (يضمها بين ذراعيه بسرعة ويحملها الى الأريكة) .

تشامبرز : أتحسين باغماء ؟

اليزابث : لا ، لا ، أنا بخير .. أنا — أنا حقا .. ركبتاى فقط — لا تقويان على — على حملى .

تشامبرز : حسن ، اذا لم تقويا على ذلك ، فلا فائدة منهما . لا يفيدانك أكثر مما يفيدان طفلا فى الخامسة !.. كيف حال شهيتك للطعام ؟ مجرد التقاط بعض الطعام ، على ما أظن ؟

اليزابث : أحـاول دائمـا أن آكل ما يقدم لى . لكنى لا أحس بالجوع الشديد اطلاقا . (بانتعاش مفاجىء) على فكرة ، يا دكتور . هل تذكر أن أبى قد اقترح عليك أن نوعا من البيرة السوداء — قد يفيدنى ؟ .

تشامبرز : نعم — وكان اقتراحا ممتازا أيضا !

اليزابث : أوه ، عفوا .. انه لم يكن كذلك ! كان على أن أجرعها مرتين فى اليوم من القدح الزنك — وأصبحت حياتى تبعا لذلك تعاسة طويلة الأمد .

تشامبرز : فليرحمنى الله !

اليزابث : أنا أعانى — تعاسة لا حد لها ..

تشامبرز : ولكن ، بغض النظر يا طفلتى العزيزة عن خواصها العظيمة فى تكوين الدم ، فان البيرة السوداء تعد أحسن المشروبات مذاقا . وليس من متعة تعدل تناولى قدحا من البيرة السوداء مع شريحة من الكستليتة أو لحم البقر فى الفطور .

اليزابث : (فى دهشة) : فى الفطور ! .. كل ما يمكن أن أقوله ان البيرة بالنسبة لى شىء بشع للغاية .. رؤيتها شىء مزعج ، وشم رائحتها أكثر ازعاجا ، وتجرعها هو الأشد ازعاجا . ومن المؤكد ان الشىء الذى يعافه المرء الى هذا الحد لا يمكن أن يفيده شيئا ! لا جدوى من توسلاتى الى أبى — وخاصة أنه صاحب هذه الفكرة المزعجة . ولكن يا عزيزى دكتور تشامبرز أرجو أن توحى اليه أن شيئا آخر — أى شىء — لا يهمنى ماذا يكون — قد يكون له نفس التأثير ..

تشامبرز : (ضاحكا) يالك من طفلة صغيرة بائسة ! لكنى بالطبع سأقترح عليه !

اليزابث : أوه . شكرا لك ألف مرة !

تشامبرز : ما رأيك فى استبدالها بكوبين من اللبن الدافىء ؟

اليزابث : لا أحب اللبن — لكنى مستعدة لتناوله طول اليوم اذا أنقذنى من هذه البيرة السوداء .

(طرق على الباب) .

أدخل .

(ولسن ، خادمة اليزابث ، تدخل ، انها فتاة لطيفة ماهرة فى حوالى الخامسة والعشرين من عمرها) .

ماذا تريدين يا مربيتى ؟

ويلسون : معذرة يا مس ، لكن (تلتفت الى الطبيب) السيد يرغب فى مقابلتك قبل انصرافك يا سيدى .

تشامبرز : بالطبع ، بالطبع .. (ينظر فى ساعته) لقد تأخرت عن الانصراف ! هل سيدك فى حجرة مكتبه ؟

ويلسون : نعم يا سيدى .

تشامبرز : حسن . الى اللقاء يا مس اليزابث ، الى اللقاء (يصافحها) .

اليزابث : الى اللقاء يا دكتور . (بصوت منخفض) وأظنك لن تنسى ؟

تشامبرز : هه ؟

اليزابث : (تنطق بحروف كلمة) ب . ى . ر . ة .

تشامبرز : (ضاحكا) سأحدثه عنها الآن .

اليزابث : أوه . أشكرك ! أشكرك !

تشامبرز : (وهو ما زال يضحك) نعمت مساء . (الى ويلسون ، وهـو يتجه نحو الباب) لا داعى لتوصيلى . أنا أعرف طريقى .

ويلسون : أشكرك ، يا سيدى .

(الدكتور تشامبرز يخرج) .

سأمضى على التو لالقاء خطاباتك يا مس با .

هل آخذ فلش معى ؟

اليزابث : (بانفعال) أسرعى ، احمليه بعيدا ! (تشير الى قدح البيرة) .

ويلسون : (مرتبكة) ما هذا يا مس ؟ ..

اليزابث : لم تكن لدى الشجاعة لتناولها فى العشاء . كنت أؤجل اللحظة المروعة أطول وقت ممكن ..

ويلسون : البيرة ، يا مس ؟

اليزابث : أخبرنى الدكتور تشامبرز الآن أنه لا حاجة بى اليها بعـد الآن . خذيها بعيدا ! هيا ! هيا : ولا تذكرى كلمة « بيرة » أمامى مرة أخرى !

ويلسون : يا الهى ! حسن جدا ، يا مس . لكن اذا لم تكونى قد شربت البيرة ، ألا تريدين ...

اليزابث : (وهى تغطى أذنيها) قلت لك لا تذكرى هذه الكلمة مرة أخرى ! خذيها بعيدا ! أرجـوك أرجوك ! ..

ويلسون : حسن جدا ، يا مس با ، هيا يا فلش (تحمـل الكلب وتخرجه من الحجرة وتعود الى الصينية وهى تلقى نظرة تساؤل على اليزابث التى تنفجر ضاحكة) .

(هنرييتـا تدخل فجأة انها فتاة جميلة مرحة تتدفق حيوية) .

هنرييتا : با ، ماذا يضحكك : ؟

اليزابث : ويلسون تظن أنى جننت .

ويلسون : جننت يا مس ؟ ما هذا الذى تقولينه ؟

اليزابث : (وهى ما زالت تضحك) : هل ستحملين هذه — هذه البيرة السوداء بعيدا أم لا ؟

ويلسون : حسن جدا ، يا مس .

(ويلسون تخرج) .

هنرييتا : با — لا أدرى ماذا يضحكك . ولا داعى لأن تخبرينى . فقط لا تكفى عن الضحك ! سوف أدغدغك ان كنت تظنين أنك لا تستطيعين الاستمرار فى الضحك بلا مساعدة ! .. أوه ، كان العشاء فظيعا !

اليزابث : لكن ، يا هنرييتا ..

هنرييتا : فظيعا : فظيعا !

اليزابث : أكان أبى ..

هنرييتا : نعم ، كان كذلك . كان فظيعا . كان فى احدى حالاته النفسية — فى أسوأ نوع . ان حالته النكدة كانت سيئة للغاية ، وحالة الصياح أسوأ — ولكن ألا تعتقدين أن حالة الصمت هى أسوأ الحالات جميعا ؟

اليزابث : نعم ، ربما ، لكن ..

هنريتا : لا أعتقد أنه كان هناك أكثر من اثنتى عشرة ملاحظة أثناء العشاء ، كان أغلبها يتجمد على لسان قائلها ، وكان يكفى أن يرمق أبى من يتكلم بنظرة جامدة .. أنت تعلمين هذا ؟ كان الصوت الوحيد فى الغرفة خلال العشرين دقيقة الأخيرة ، أو ما يقرب من ذلك ، هو قرقعة السكاكين والشوك . وحالما انتهى العشاء أمر أبى أن يحمل نبيذه البرتغالى الى حجرة مكتبه — وشكرا لله ! فقد خرج بعدهما على الفور .

اليزابث : ان الدكتور تشامبرز معه فى الحجرة الآن .

هنريتا : أوه يا ، أرجو ، من أجلنا جميعا ، ألا يكون تقريره عنك حسنا للغاية .

اليزابث : لكن ، يا هنريتا ..

هنريتا : (فى نوبة ندم مفاجئة ، تركع بجانب الأريكة وتلف ذراعها حول اليزابث) : سامحينى يا أعز انسان لدى ! كان خطأ منى أن أقول ذلك ! وأنت تعرفين أنى لم أكن أعنى ما قلت ، أليس كذلك ؟ لا شىء يهمنى فى هذا العالم سوى تحسن صحتك . هذا ما تعرفينه ، أليس كذلك ؟

اليزابث : بالطبع — أعرف هذا ، أيتها الطفلة الحمقاء . لكن ما قلته يجعل من أبى وحشا قاسيا متجردا من انسانيته ، وهذا يخالف الواقع جدا . فهو يعنى بجميع أطفاله على طريقته الخاصة .

هنرييتا : على طريقته الخاصـــة .. : لا يا عزيزتى ، ان ما عنيته هو أن الأخبار الطيبة ، أيا كان نوعها ، كفيلة بزيادة حالته الراهنة سوءا . لست أدرى لماذا ، ولكن هذا ما يحدث بالفعل (فى لهفـــة مفاجئة) با ، أليس الدكتور تشامبرز غير راض عنك ؟ أليست حالتك أكثر سوءا ؟ .

اليزابث : لا ، لا يا عزيزتى ، أنا كما كنت — لم أتقدم ولم أتأخر .

(تدخل آرابل ، وهى فتة طويلة ، سمراء ، وقورة) .

آرابل : أوه ، أنت هنا ، يا هنرييتا ، كنت أبحث عنك فى كل مكان ، بابا أرسل لك هذه المذكرة من حجرة مكتبه .

هنرييتا : أنا ؟ أوه يا عزيزتى : حين يبدأ فى ارســـال مذكراته من مكتبه فانتظرى حدوث عواصف

(تفتح المذكرة وتقرأ) « سمعت هـذا الصباح أن خالتك وخالك هيدلى ، وبللا — ابنة خالك قد وصلوا الى لندن قبل الموعد المتوقع لوصولهم وهم ينزلون بفندق فينتون . وتفكر بللا والمستر بيفان خطيبها فى زيارتك غدا فى الساعة الثالثة . وبالطبع ستكونين أنت وأرابل هنا لاستقبالهما ، واذا كانت حالة اليزابث طيبة ، فسوف تصعدون لزيارتها . وقد كتبت الى خالك وخالتك وابنة خالك أدعوهم الى العشاء يوم الخميس المقبل . — والدك » حسن !

آرابل : فهمت الآن لماذا كان يبدو أبى شديد الاستياء أثناء العشاء .

هنرييتا : تعنين أنه كان سيىء الطبع ؟

آرابل : أمن الضرورى دائما أن تستعملى أقبح كلمة ؟ .

هنرييتا : نعم ، ياآرابل — حين تصفين أقبح شىء . أوه ، ان التفاهم مع والدى أمر مستحيل تماما ! لقد تسلم خطاب آل هيدلى أثناء الفطور ! لماذا لم يتكلم حينذاك ؟ ولماذا لم يتكلم أثناء العشاء ؟ لقد كان لديه فرصة كافية .

آرابل : أخشى أنه كان مستاء للغاية .

هنرييتا : (وهى تقطب وجهها) : مستاء ! .. أوه بالطبع . كلنا يعرف أنه يكره أن يتبع أسلوب الأدب المألوف مع أى انسان ، وهو مضطر الآن أن يظهر نوعا من حسن الضيافة لآل هيدلى ! فلا عجب أنه كان — مستاء .

اليزابث : أأنت منصفة فى هذا يا عزيزتى ؟ قلما اعترض أبى على استقبالنا أصدقاءنا هنا .

هنرييتا : لتناول كوب من الشاى وفطيرة — وما داموا يغادرون البيت قبل عودته من السهرة . هل حدث مطلقا أن دعا أحد منا أى شخص الى العشاء ؟ أو حتى الى الغذاء ؟ ولكن هذه قصة قديمة ! ان أشد ما يغيظنى أنى أتوقع وصول صديق لى غدا فى الساعة الثالثة — والآن أرانى مضطرة الى تأجيل هذا الموعد بأى طريقة .

آرابل : (بخبث) : لماذا ؟

هنرييتا : لماذا ؟

آرابل : (كما سبق) ! نعم ، لماذا تؤجلين مقابلته ؟ بللا وخطيبها لن يلتهما — صديقك .

هنريتا : (بغضب) وما — وما شأنك بهذا ؟

آرابل : (فزعة) لكن ، يا هنريتا —

هنريتا : انى أكره الذين يتدخلون فى شئونى ...

(تغادر الحجرة على عجل وتشـــد الباب وراءها بعنف) .

آرابل : (فى حزن) أوه يا عزيزتى ! أوه يا عزيزتى ! ماذا دهاها الليلة ؟ انها عادة تستمع الى ما يدور حول الكابتن سورتيز كوك من دعابة .

اليزابث : من المحتمل أنها بدأت تأخذ اهتمامه بها مأخذ الجد .

آرابل : أوه ، أرجو يابا ألا تكون كذلك ! أتذكرين المشاحنات المريعة بينها وبين أبى حين تقـدم ذاك الشاب بالفرى لخطبتها منذ عامين ؟

اليزابث : أفضل أن أنساها .

آرابل : أوه ، لماذا لا تستطيع هنريتا أن تفهم جيـدا أن هناك شيئا واحدا لن — لن يسمح به أبى ! وهو زواج أى فرد من هذه الأسرة ؟ ان هذا لا يشغلنى عـلى الاطلاق لأنه لم يحـدث أن استهوانى أحـد الرجـال من هذه الناحية . ولا أنت يا عزيزتى ..

اليزابث : (بضحكة) : أنا !

آرابل : — بالطبع ، يا عزيزتى المسكينة ، لا جدوى اليوم من ذكر مثل هذا الشيء على الاطلاق — سواء تدخل أبى أو لم يتدخل . لكن حتى حين كنت أصغر سنا وأكثر قوة ، لا أذكر أنه كانت لك أى علاقات غرامية بالرجال .

اليزابث : (بلا روية) ربما لم يمنحنى الرجال الفرصة على الاطلاق .

آرابل : أوه ، لكنك كنت فتاة رائعة .

اليزابث : ما شكل الكابتن سورتيز كوك . أهو لطيف ؟

آرابل : نعم ، أظن ذلك ، أنه ظريف جدا . لكنه قليل الكلام ، فهو يكتفى بالجلوس والنظر الى هنرييتا .

اليزابث : انها جميلة جدا ..

آرابل : لكن أبى لا يشجع أى نوع من التفاهم بينهما . قد يمنع الكابتن كوك من دخول المنزل اذا بلغه أقل شيء عن هذا — وأنه لفظيع أن تفكر فيما سيحدث لهنرييتا ! حتى لو كان ملكا ، وليس مجرد ضابط له ايراد خارجى بسيط

بجانب مرتبه ، فلن يغير هذا من الأمر شيئا - انك تعرفين ذلك تماما ، كما أعرفه .

اليزابث : هنرييتا المسكينة ..

هنرييتا : (هنرييتا تدخل ثانية . تسرع نحو آرابل وتقبلها) آسفة ..

آرابل : أوه ، يا عزيزتى ، لم أقصد مضايقتك قط ..

هنرييتا : لم تقصدى — لقد أسأت الى ! (ضاحكة) أوه ، أنا حقا أشبه أبى .

اليزابث : حينما تحضر بللا وخطيبها غدا ، فستحضرهما آرابل الى هنا لزيارتى ، ويمكنك الترحيب بالكابتن كوك فى حجرة الاستقبال . (يبدو الحزن على آرابل) .

هنرييتا : يالك من عبقرية ! يا حبيبتى ! (تطوق اليزابث بذراعيها) .

اليزابث : لكن يجب أن تكون الحجرة خالية لى ابتداء من منتصف الثالثة ، فحينذاك سيأتى مستر روبرت براوننج لزيارتى .

هنرييتا : (بانفعال) : لا !

آرابل : لكنى كنت أظن ..

هنرييتا : بالطبع . أعرف أنك كنت تبادلين مستر براوننج

الرسائل منذ شهور . فقد حملت الى صندوق البريد عددا من خطاباتك اليه . لكنك حينذاك كتبت الى كثيرين من الأدباء الذين ترفضين مقابلتهم رفضا باتا ، و ..

آرابل : هل أذن أبى بذلك ؟

اليزابث : بالطبع .

هنرييتا : لكن لماذا — لماذا — لماذا استثنيت مستر براوننج ؟ لقد سمعت أنه رائع الجمال ، لكن ..

اليزابث : (ضاحكة) أوه ، لا يمكن اصلاحك يا هنرييتا .

آرابل : علمت أنه متلهف لزيارتك . أخبرنى مستر كينيون بذلك .

اليزابث : كنت لا أنوى مقابلته ، ولا أريد مقابلته الآن بصفة خاصة .

هنرييتا : لكن لماذا ؟

اليزابث : (ببساطة) : لأنى فى أعماقى — يا عزيزتى مغرورة كالطاووس ! .. فأنت ترين أنه حين يعجب الناس بأشعارى فمن المرجح أن يتخيلوا الشاعرة عظيمة وجميلة كأشعارها ؛ هذا — على

الأقل ما أقـــوله لنفسى دائما .. ومن الاهانة البالغة أن أزيل عنهم هذا الوهم .

هنرييتا : لا تكونى حمقاء ، انك يابا لطيفة وجذابة .

اليزابث : (ضاحكة) : أليس هذا كالوصف الذى تطلقه كتب الدعاية على الاطلال .

هنرييتا : أوه ، با ، لم أكن أعنى ..

اليزابث : بالطبع ، يا عزيزتى ! .. لكن الحقيقـــة ، ان مستر براوننـــــج كان يلح كثيرا ، لدرجة أنى سئمت ونزلت مضطرة على رأيه ، لكنى لا أريد متفرجا يشهد مأساة القضاء عـــلى أوهامه ! ولذلك أرجو يا أرابل أن تغـــادر بللا ومستر بيفان الحجرة قبل حضوره .

(طرق على الباب)

أدخل .

(يدخل أوكتافيوس باريت ، فى حـــوالى الثامنة عشرة ـ يتعلثم قليلا) .

أدخل يا أوكى .

أوكتافيوس : جئت توا لأطمئن عليك ولأتمنى لك مساء طيبا (ينحنى ويقبلها) هل الدكتور مرتاح لحالتك ؟

اليزابث : أوه نعم ، أغلب الظن أنه كذلك .

هنرييتا : (تناول أوكتافيوس مذكرة باريت) اقرأ هذا ، يا أوكتافيوس .

آرابل : (بينما يقرأ أوكتافيوس المذكرة) أوه يا عزيزتى : نسيت تماما أنه كان لابد لى من الاستماع الى محاضرة عن بعثة ويسلى الصينية فى قاعة اكستر بعد ظهر غد .

أوكتافيوس : حسن ، لا يمكنك سماعها . (يلوح بخطاب باريت) . هذا ، بلا ريب م — مرسوم ملكى !

هنرييتا : (بحركة تمثيلية) صدر فى حجرة مكتبنا ، ٥٠ شارع ويمبول ، فى التاسع عشر من مايو ، عام ١٨٤٥ ، حفظ الله والدى !

آرابل : (بتأنيب) هنرييتا عزيزتى !

(طرق على الباب)

اليزابث : أدخل .

(سبتيماس باريت يدخل ! انه يكبر أوكتافيوس بعام . وهو كأوكتافيوس وسائر اخوان باريت الذين يظهرون تباعا ، فى ملابس السهرة) .

ما وراءك يا سبتيماس ؟

سبتيماس : كيف حالك يابا ؟ (يقبلها) أرجـو أن يكون الدكتور مرتاحا لحالتك ؟

اليزابث : أوه نعم ، أغلب الظن أنه كذلك .

أوكتافيوس : اسـمع يا سبتيماس أن أفراد عائلة هيـدلى سيتناولون عشاءهم هنا يوم الخميس المقبل !

سبتيماس : يا الهى ! أحقا هذا ؟ .

(طرق على الباب) .

اليزابث : أدخل .

(الفـريد باريت يدخـل . انه يـكبر سبتيماس) .

أدخل يا ألفريد .

الفريد : وكيف حال عزيزتنا الليلة ؟ أرجو أن يكون الدكتور مسرورا بحالتك ؟

اليزابث : أوه نعم ، أغلب الظن أنه كذلك .

(طرق على الباب) .

أدخل .

(تشـارلز باريت يدخل . انه يكبر الفريد بقليل) .

أدخل يا شارل .

تشارلز : كيف حالك الليلة يا با ؟ (يقبلها) أرجو أن يكون تقرير الدكتور تشامبر عنك طيبا ؟

اليزابث : أوه نعم ، أغلب الظن أنه كذلك .

(طرق على الباب) .

أدخل .

(يدخل هنرى باريت . انه يكبر تشارلز بقليل) .

أدخل يا هنرى .

هنرى : حسن يا با . كيف حالك ، يا عزيزتى ؟ (يقبلها) هل الدكتور مسرور من مريضته ؟

اليزابث : أوه نعم . أغلب الظن أنه كذلك .

هنرى : حسن . يجب أن أصرح لك بأنك أحسن حالا على ما يبدو . ما رأيك يا شارل .

شارل : آه ؟

هنرى : ألا ترى أنها تبدو أحسن حالا ، أليس كذلك ؟

(طرق على الباب) .

اليزابث : أدخل .

(جورج باريت يدخل . انه يكبر هنرى قليلا) .

أدخل يا جورج .

جورج : حسن ، كيف حال با الليلة (يقبلها) كان

الدكتـــور هنـــا الآن ، أليس كذلك ؟ أخشى ألا يكون غير مرتاح لحالتك ؟

اليزابث : أوه نعم ، أظن .. أعنى — لماذا ؟

جورج : حالتك ليست عـــلى ما يرام . أليس كذلك ، يا هنرى ؟

هنرى : بالعكس ، أرى أنها تحسنت كثيرا . وهذا رأى شارل أيضا . أليس كذلك يا شارل ؟

شارل : اه ؟

أوكتافيوس : اسمع يا جورج ، لقد وصـــل آل هيدلى الى المدينـــة فى زيارة غير متوقعة ، وســـتأتى بللا وخطيبها الريفى لزيارة أخواتنا مساء غـــد . وسوف تتناول العشاء هى ووالداها هنا يوم الخميس .

ألفريد : هنرى ، سبتماس ! (فى وقت واحد) يتناولون العشاء هنا !

جورج : حسن ، أرجو أن يكون عشاؤهم شهيا كعشائنا الليلة !

هنرى : لقد قابلت المدعو مستر بيفان ، أليس كذلك ؟

جورج : نعم .

هنرى : وما شكله ؟

جورج : كالجحش المطهم . لكنه رجل معجب بنفسه — معجب بنفسه للغاية . دخله السنوى يبلغ عشرة آلاف جنيه .

هنرييتا : لا !

جورج : وستزيد عشرة آلاف أخرى عندما تموت جدته .

آرابل : أوه !

هنرييتا : هذا ظلم فاحش ! ماذا فعلت بللا لتستحق مثل هذا الحظ ؟

أوكتافيوس : جورج يقول أنه جـ — جحش مطهم .

هنرييتا : أوه انها الغيرة ! رجل دخله عشرة آلاف جنيه سنويا لا يمكن أن يكون جحشا (مقلدة تلعثمه) م — م — م — م مطهما .

جورج : أظن أنه يهمكم جميعا أن تسمعوا أن بابا سيسافر فى مهمة الى بليموث فى الأسبوع المقبل وسوف ..

(صيحات دهشة من الجميع عدا اليزابث) .

هنرييتا : استمر يا جورج ، استمر ! و — ؟

جورج : ومن المتوقع ألا يعود — قبل أسبوعين على الأقل .

(تمتمة تنم عن الرضا ووجوه باسمة) .

هنرييتا : أوه يا جورج ! تطوق عنقه بذراعيها ، ما أروع هذا ! ما أعظمه ! هل ترقص البولكا يا جورج ؟

جورج : لا تكوني طفلة .

هنرييتا : حسن ، سأرقص أنا !

(ترقص البولكا فى الحجرة ، وتدندن بأنغام موسيقى البولكا . ينظر الباقون اليها فى سرور . أوكتافيوس يصفق . الباب يفتح بهدوء ويدخل ادوارد مولتون باريت . وهو رجل حسن القوام جميل الصورة فى الستين من عمره) .

اليزابث : أبى ..

(سكون رهيب يطبق على الجميع . هنرييتا تقف جامدة وسط الحجرة ، باريت يقف لحظة عند عتبة الباب ينظر أمامه بوجه لا يكشف عن أى تعبير) .

نعمت مساء يا أبى ..

(دون أن يرد ، يعبر الحجرة ، ويقف وظهره الى المدفأة . فترة سكون . الجميع يقفون جامدين) .

باريت : (فى صوت رزين متزن) انى مستاء للغاية . (فترة سكون) . من الطبيعى جدا أن تزوروا أختكم فى المساء وتتبادلوا ، معها كلمات قليلة هادئة . لكن أظن أنى قد أشرت من قبل ، ليس مرة واحدة فحسب ، بل عدة مرات ، انه من المستحسن ألا يزورها فى مثل حالتها الصحية المضطربة أكثر من ثلاثة منكم فى آن واحد ! ولكنكم كعادتكم — تجاهلتم رغباتى فى هذا الشأن . (فترة سكون) انكم جميعا تعرفون جيدا أن أختكم يجب أن تتجنب أى نوع من الاثارة . يلزمها الهدوء التام ، وخاصة قبل أن تأوى الى فراشها ليلا لتنام . ومع ذلك أجدكم تمرحون حولها كشرذمة من الأطفال المتمردين . انى فى غاية الاستياء .

(هنرييتا تقهقه فى شىء من العصبية) .

لا أذكر أنى قلت شيئا يدعو للضحك يا هنرييتا ؟

هنرييتا : م — معذرة يا أبى .

باريت : هل يمكن أن أسأل ماذا كنت تفعلين حين دخلت الحجرة ؟

هنرييتا : كنت أعرض على با طريقة رقصة البولكا .

باريت : رقصة .. البولكا ؟

هنرييتا : أعنى كيف تؤدى رقصة البولكا .

باريت : فهمت .

(فترة سكون ...) .

أوكتافيوس : (بعصبية) حسن يا بابا — با ، أظن أنى سأقول لك : — نعمت مساء . و —

باريت : أكون شاكرا لو سمحتم لى أن أفرغ من كلامى .

أوكتافيوس : آسف ، يا والدى . كنت — كنت أظن أنك فرغت من كلامك .

باريت : (بغضب شديد) أليست هذه وقاحة منك ؟

أوكتافيوس : كلا ، فى الحقيقة يا أبى — أؤكد لك ، أنى —

باريت : حسن جدا ، الآن —

اليزابث : (بسرعة وانفعال) نظرا لأنى كنت سبب حزنك يا أبى ، فأرى لزاما على أن أخبرك أنه لا شىء أحب الى نفسى من بعض الضوضاء بين حين وآخر .

(فترة سكون قصيرة) وأنه اجتماع الأسرة كلها هنا لأمر يدعو للسرور ولا يمكن أن يلحق بى أى ضرر ...

باريت : معذرة يا اليزابث حين أقول أنك لست خير من يحكم على ما ينفعك وما يضرك .. وهذا يجرنى الى الكلام عما جئت الى هنا لأتحدث اليكم بشأنه . أخبرنى الدكتور تشامبرز منذ لحظة أنك نجحت فى اقناعه بالسماح لك بعدم الاستمرار فى تناول البيرة السوداء مع وجبات طعامك .

اليزابث : كان اقناعه سهلا للغاية . قلت له انى أكره البيرة السوداء ، فوافق على الفور باستبدالها باللبن .

باريت : سألته عن نسبة العناصر المقوية فى البيرة السوداء واللبن واضطر الى الاعتراف بأن البيرة السوداء تأتى فى المرتبة الأولى بكل تأكيد .

اليزابث : قد تكون كذلك ، يا أبى ، لكن حين تنفر من شىء الى درجة الكراهية ، فلا أتصور كيف يمكن أن تفيد منه شيئا .

باريت : قلت لك يا طفلتى منذ لحظة أنك لست خير من يحكم على ما ينفعك وما يضرك وأرجو

أن تسمحى لى أن أقول أيضا أن تعويد النفس على النظام والطاعة أمر نافع وأن فى التهاون ضررا على الدوام .

أليزابث : أبى . ان كنت تظن أن تناولى اللبن مظهر من مظاهر التهاون الطائش فقد خانك الصواب . فأنا أكره اللبن وان كان بدرجة أقل من البيرة السوداء .

باريت : ما تحبين وما تكرهين أمور لا مكان لها فى مثل حالتك .

اليزابث : لكن ، يا أبى ..

باريت : صدقينى يا اليزابث ، انى حين حذرتك من أن امتناعك عن تناول البيرة السوداء يسبب استيائى العميق ، لم أكن أبغى سوى راحتك من صميم قلبى .

أليزابث : (بحنق) لكن — لكن حين يكون الدكتور تشامبرز بنفسه ..

باريت : سبق أن أخبرتك بما قاله لى الدكتور تشامبرز .

أليزابث : نعم ، لكن ..

باريت : هل تناولت كميتك المقررة من البيرة السوداء مع العشاء .

اليزابث : كلا .

باريت : حينئذ أرجو أن تجرعيها قبل أن تأوى الى فراشك .

اليزابث : لا ، يا أبى ، انك تحملنى ما لا أطيق : أنا — أنا لا أستطيع تجرع هذا المشروب المزعج بمحض ارادتى .

باريت : حسن جدا ، بالطبع ، لا سبيل الى ارغامك على شىء فانك لست طفلة . ولكنى أقصد أن أمنح نفسك الطيبة الفرصة لاثبات وجودها وسيترك قدح من البيرة السوداء بجوار فراشك . وأرجو أن تتمكنى غدا من أن تبلغينى أنك قد أطعت والدك .

اليزابث : متأسفة ، يا أبى — لكنى سوف لا أجرعها .

باريت : (الى هنرييتا) : انزلى الى المطبخ وهاتى قدحا من البيرة السوداء .

هنرييتا : لا .

باريت : ماذا تقولين ؟

هنرييتا : (بصوت مرتعش من الغضب والثورة) هذه — هذه قسوة بالغة فأنت تعرف مقدار بغضها

لهذا المشروب ولقد أعفاها الدكتور منه . أنت الآن تعذبها لأنك — لأنك تهوى التعذيب .

باريت : لقد طلبت منك احضار قدح من البيرة السوداء من المطبخ .

هنرييتا : لن أفعل ذلك .

باريت : هل لى أن أكرر طلبى للمرة الثالثة ؟ (يصيح فجأة) اذعنى للأمر فى الحال .

اليزابث : (بحـدة) أبى .. هنرييتا اذهبى واحضريها ! اذهبى فورا ! لا أحتمل ذلك .

هنرييتا : لا ، أنا ..

اليزابث : أرجوك — أرجوك ..

(بعد لحظـة تردد ، تسـتدير هنرييتا وتخرج ،) .

باريت : (بهدوء ، بعد فترة سكون) : من الأوفق أن تلقوا على أختكم تحية المساء .

آرابل : (فى همس) : طاب مساؤك ، يا عزيزتى — (تقبلها اليزابث فوق خدها) .

اليزابث : (تتقبل القبلة بفتور) طاب مساؤك .

(آرابل تترك الحجرة ، ثم يتجـه أخوتها، كل بدوره ، نحو اليزابث ويطبع على خدها قبلة) .

جورج : با ، طاب مساؤك .

اليزابث : طاب مساؤك .

(جورج يخرج) .

ألفريد : با ، طاب مساؤك .

أليزابث : طاب مساؤك .

(ألفريد يخرج) .

هنرى : با ، طاب مساؤك .

أليزابث : طاب مساؤك .

(هنرى يخرج) .

تشارلز : با ، طاب مساؤك .

اليزابث : طاب مساؤك .

(شارل يخرج) .

سبتيماس : با ، طاب مساؤك .

اليزابث : طاب مساؤك .

(سبتيماس يخرج) .

أوكتافيوس : با ، طاب مساؤك .

اليزابث : طاب مساؤك .

أوكتافيوس : أوكتافيوس يخرج .

بآريت : (يقف أمام المدفأة ، بينما اليزابث راقدة على أريكتها تنظر الى الأمام نظرات لا تحمل أى تعبير .

فترة سكون . تدخل هنرييتا تحمل صينية صغيرة عليها قدح من البيرة السوداء تقف لحظة وراء عتبة الباب تحملق فى والدها وتتنفس بسرعة .

اليزابث : هاته من فضلك .

(هنرييتا تمضى نحوها . اليزابث تتناول القدح وتهم بشربه حين يتدخل باريت فجأة ، ولكن فى هدوء) .

باريت : لا . (ينحى هنرييتا جانبا ، ويأخذ القدح من اليزابث . ويوجه الكلام الى هنرييتا) يمكنك الانصراف .

هنرييتا : طاب مساؤك يا عزيزتى با . (تتقدم نحو اليزابث لكن باريت يصدها الى الخلف) .

باريت : يمكنك الانصراف .

اليزآبث : طاب مساؤك .

(هنرييتا ، تنصرف وهى تنظر الى أبيها نظرة تحد) .

(باريت يضع القدح على رف المدفأة ، ثم يتجه الى الأريكة ويقف ينظر الى اليزابث التى تحملق فيه بعينين جاحظتين وجلتين) .

باريت : (بصوت رقيق) : اليزابث !

اليزابث : (فى صوت خافت) نعم ؟

باريت : (يضع يده على رأسها ويثنيها قليلا الى الخلف) : لماذا تنظرين الى هكذا أيتها الطفلة ؟.. أتشعرين بخوف ؟

اليزابث : (كما كانت تتكلم من قبل) : كلا .

باريت : أنك ترتعدين .. لماذا ؟

اليزابث : لست — لست أدرى .

باريت : انك لا تخافيننى ، أليس كذلك ؟ (اليزابث على وشك الكلام — يواصل كلامه بسرعة) لا ، لا . لا يجب أن تقولى ذلك . لا أستطيع احتمال التفكير فى هذا . (يجلس على جانب من الأريكة ويأخذ يدها) أنت تعرفين أنك بالنسبة لى كل شىء فى هذا الوجود وتعرفين كذلك انى بدونك أصبح وحيدا — لكن لو كنت تحبيننى ، فلا يمكن أن تخافى منى فالحب يطرد الخوف .. انك تحبيننى ، يا عزيزتى ؟ تحبين والدك ؟

اليزابث : (فى همس) نعم .

باريت : وستبرهنين على حبك لى بالعمل وفق رغبتى .

اليزابث : لست أفهم ما تعنى . كنت سأشرب ..

باريت : (بسرعة) : نعم — بدافع من الخوف ، لا الحب . اصغى الى يا عزيزتى ، قلت لك منذ لحظة أنك ستزيدين حزنى ان عصيت أمرى . أنا أسحب هذا القول ولن ألومك على أى حال . ولن تعرفى سواء بالعمل أو الكلام أو الاشارة مقدار الحزن والألم الذى تسببينه لوالدك برفضك أداء العمل البسيط الذى طلبته منك .

اليزابث : أوه أرجوك ، أرجوك ، لا تقل أكثر من هذا . الأمر كله ، فى غاية الحقارة والتفاهة . هات القدح من فضلك .

باريت : انك تتصرفين بمحض رغبتك . وليس ..

اليزابث : أوه ، يا أبى ، لنترك هذا جانبا ، ولننسه . لا أستطيع أن أصفح عن نفسى لأنى ملأت البيت تعاسة بسبب قدح من البيرة السوداء (يناولها القدح) .

(تجرعها دفعة واحدة . باريت يعيد القدح الى مكانه على رف المدفأة ثم يعود الى الأريكة وينظر بحنان الى اليزابث) .

باريت : لست أسوأ حالا الليلة ، يا عزيزتى ؟

اليزابث : (بفتور) لا ، يا أبى .

باريت : مجرد احساس بالتعب ؟

اليزابث : نعم .. مجرد احساس بالتعب .

باريت : يحسن أن أتركك الآن .. تسمحين لى أن أصلى معك صلاة قصيرة قبل انصرافى ؟

اليزابث : تفضل ، يا أبى .

(باريت يركع بجوار الأريكة ويشبك يديه ، ويرفع وجهه ، ويغمض عينيه • اليزابث تشبك يديها ، ولكنها تترك عينيها مفتوحتين) .

باريت : يا الهى العظيم الرحيم ، أضرع اليك أن تقبل صلاتى المتواضعة وتجيب دعائى . يا من لك الحكمة التى لا تدركها عقولنا . لقد أسأت الى ابنتى اليزابث حين أنزلت بها هذه المحنة العظيمة المحزنة . منذ سنوات وهى ترقد مريضة ، وستبقى كذلك سنوات مالم ترحمها وتخترها الى جوارك . امنحها القدرة لتدرك كلمتك الرحيمة بأنك تمتحن الذين تحبهم . امنحها

القدرة على احتمال الآلام فى صبر . امنحها القدرة التى تثبت قلبها وروحها على دينك وعلى الوجود العلوى الأزلى الذى قد يفتح أبوابه لها فى أية لحظة . اشملها بعنايتك الرحيمة الليلة ، طهر عقلها من نزعات السوء والأنانية والقسوة ، احرسها وامنحها الراحة . أسألك هذا كله بحق عيسى المسيح — آمين .

اليزابث : آمين .

باريت : (ينهض ويضع قبلة على جبينها) ! طاب مساؤك يا طفلتى .

اليزابث : (تقابل قبلته بفتور) : طاب مساؤك يا أبى .

(باريت يخرج) .

اليزابث ترقد بلا حراك تحملق أمامها دقيقة أو اثنتين . طرق على الباب .

ادخل .

تدخل ويلسون تحمل فلش) .

ويلسون : (تضع فلش فى سلته) هل تستعدين للنوم الآن يا مس با ؟

اليزابث : أو . أنا . أنا متعبة للغاية يا ويلسون — متعبة . متعبة من كل شىء .. ألن ينتهى هذا مطلقا ؟

ويلسون : ماذا تعنين يا مس ؟

أليزابث : أعنى هذه الحياة التى هى أشبه بموت بطىء ، بطىء وكئيب .

ويلسون : أوه ، لا يجب أن تقولى مثل هذا الكلام يا مس با .

اليزابث : لا ، أظن أنه لا يجب أن .. هل أستمتع فلش بالنزهة .

ويلسون : أوه ، أجل يا مس با (فترة سكون) .

أليزابث : هل الجو جميل الليلة ، يا ويلسون ؟

ويلسون : نعم ، يا مس ، وشديد الدفء ، والقمر ساطع جميل .

اليزابث : (بلهفة) القمر ! أوه ، هل تظنين أنه فى استطاعتى رؤيته من هنا ؟ .

ويلسون : فى الحقيقة لا أدرى .

أليزابث : أزيحى الستار الخارجية وارفعى الستار الداخلى .

(ويلسون تفعل ما أمرت به وضوء القمر يغمر وجه اليزابث مختلطا بضوء المصباح)

ويلسون : هذا جميل يا مس ! القمر فوق المداخن مباشرة . يمكنك الاستمتاع بجماله .

اليزابث : (حالمة) أجـل .. أجل .. أرجـوك أن تطفئى المصـباح وتتركينى قليلا . لا أريد أن أنام الآن .

(ويلسون تطفىء المصباح وتخرج . ضوء القمر الساطع يغمر اليزابث . تتطلع لحظة الى القمـر بعينين مفتوحتين . ويصـبح تنفسـها السريع مسموعا ، ويهتز جسمها بالتنهـدات . تتكىء على جانبها وتدفن وجهها فى ذراعيهـا . ولا يسمع عند انتهاء الفصل سوى صوت بكائها المكتوم) .

الفصل الثانى

مستر روبرت براوننج

(عصر اليوم التـــالى . الستائر الخارجية مرفوعة والستار الداخلى مفتوح . الشمس تملأ الحجرة . وعلى منضدة بالقرب من الأريكة التى ترقـــد عليهـــا اليزابث صينية ، عليها بعض الحلوى) .

(اليزابث ترقد على الأريكة ، تضع بطانية صغيرة على قدميها . تقرأ كتابا صغيرا بشغف عظيم ؛ ومن وقت لآخر تمر بأصابعها بين خصـــلات شعرها أو تبعـــد تلك الخصلات عن وجهها . فلش ينام فى سلته) .

اليزابث : (وهى تضغط مخارج الكلمات بارتباك) :

« يا للزهور اليانعة ،
فى أكمامها ، ولا أشواك ،
لذيذة كقطرات
النبيذ المسكوب فى ساعة القداس » .

(طرق على الباب . اليزابث لا تنتبه اليه لشدة انهماكها فى القراءة . تعيد القراءة وهى تضغط بأصابعها على جبهتها) .

فى أكمامها ، ولا أشواك ،
لذيذة كقطرات ..

(يتكرر الطرق على الباب) .

« النبيذ » .

آدخل ..

(تدخل ويلسون) .

أوه أجل ، يا ويلسون .. أنا على استعداد لتناول الغداء .

ويلسون : (ببلادة) : بل لقـد تناولت غداءك بالفعل يا مس با ؟

اليزابث : أوه نعم ، بالطبع .. وكان شهيا للغاية .

ويلسون : لقد اكتفيت بقليل من السمك يا مس با . وتركت أحسن جزء من اللحم المشوى الشهى ولم تلمس السجق أو فطيرة الذرة بمربى التوت .

اليزابث : (تنظر بدهشة الى الصينية) : أوه .. على أى حال ، لقد فات الوقت ..

(تنهمك فى قراءة كتابها مرة أخرى) .
(ويلسون تحمل الصينية الى الخارج وتعود فى الحال ، تغلق الباب وراءها) .

ويلسون : (وهى تتجه ناحية رف المدفأة وتضع كمية من الدواء فى كوب الدواء) : والآن يا مس با ، ان

كنت تحسين بالراحـــة والهدوء فسأحمل فلش الى الخارج ليتنسم الهواء .

(اليزابث منهمكة فى القراءة ، لا تنتبه الى ما قالتـــه ، ويلسون تحمل كوب الدواء وتتجه اليها) .

دواؤك يا مس با .

اليزابث : (تتناول الكوب وعيناها ما تزالان مركزتان على كتابها) : أشكرك . (تواصـــل القراءة والكوب فى يدها) .

ويلسون : (وهى تمشى نحو النافذة) أظن أنه يحسن أن أنزل الســتار قليـلا . فالشمس القوية تضر صحتك . يا مس .. (تنزل الستار الى منتصف النافذة) .

اليزابث : وهى تحمل الكوب الذى لم تشرب منه شيئا ، وعيناها ما تزالان على الكتاب : شكرا لك ..

ويلسون : لم تشربى الدواء بعد ، يا مس .

اليزابث : أوه . . (تجرع الـدواء ، وتنـاول الكوب لويلسون فى شىء من العبوس) . افتحى الباب من فضلك يا ويلسون . فأنا فى انتظار زوار

عصر اليوم ، وأود أن تكون الحجرة مجددة الهواء . وبودى لو تفتحين النافذة !

ويلسون : (مأخوذة) افتح النافذة ، يا مس با !

اليزابث : (وهى تتنهد) : نعم ، أعرف أن هذا محظور تماما .. حسن ، افتحى الباب على مصراعيه .

ويلسون : يحسن أن أحكم الغطاء عليك أولا . (تحضر لحافا) تنتظرين زوارا يا مس با ؟ ..

اليزابث : (بينما ويلسون تغطيها حتى ذقنها) : نعم ! ابنة عمتى ، مس بللا هيدلى لم أرها منـذ كانت طفلة — كانت طفـلة رقيقة للغاية ! وهى الآن مخطوبة .

ويلسون : حقا يا مس ، وهل ستكون بصحبة خطيبها ؟

اليزابث : نعم .

ويلسون تفتح الباب .

وسيحضر مستر روبرت براونتج بعد ذلك .

ويلسون : حقا ، يا مس ؟ أهو السيد الذى يرسل اليك دائما الكتب الجميلة ؟

اليزابث : نعم (تعاود القراءة) .

ويلسون : أواثقة أنك لا تحسين بتيار هوائى ، يا مس با ؟

اليزابث : (دون أن تنظر اليها) : واثقة تماما ، أشكرك .

ويلسون : ألا يحسن أن تغطى ذراعيك ؟ فهواء الربيع لا يؤمن شره !

اليزابث : (تكلم نفسها بلهجة البائس) : لا — انه بعيد عن ادراكى ! سأكف عن قرائته !

ويلسون : معذرة ؟

اليزابث : (بحدة) : ويلسون .

ويلسون : سمعا ، يا مس .

اليزابث : (بنفس الحدة) : هل لاحظت شيئا — غريبا علىّ اليوم ؟

ويلسون : غريبا ، يا مس ؟

اليزابث : نعم ، غريبـا . أعنى لاحظت أنى — غبية ، بليدة ، حمقاء — معتوهة ..

ويلسون : يا الهى ! كلا ! قد يكون نوعا من شرود الذهن لكن لا يدعو للقلق ، يا مس با .

اليزابث : اذن ، فأنت لا تظنين أنى سأصاب بجنون !

ويلسون : رحمتك يا رب ! تصابين بجنون !

اليزابث : حسن . لكن الآن ، اصغ الى جيدا ثم أخبرينى ماذا تفهمين من هذا : —

(تقرأ)

« وفيما بعد ، سوف نلهو ،
اذا أقبل شهر يونيو مشرقا
بالزهور اليانعة ،
وكلها أكمام ، ولا أشواك ،
لذيذة كقطرات ،
النبيذ المسكوب فى ساعة القداس
وتختار زهرة
تتسم بالحمرة والنضرة ،
أو اذا ما استخدم يونيو ،
متمثلا بالانسان والعنكبوت ،
حشرة النار القوية المفترسة ،
ليحطم النسيج الرقيق الذى بدأ حديثا ..
نعم ان يونيو سوف يتدبر الأمر .

ويلسون : (بحماس) : اسمى هذا شيئا جميلا ، يا مس با !

اليزابث : لكن هل تعرفين معناه ؟

ويلسون : أوه ، لا يا مس ؟

اليزابث : هل ينقل الى ذهنك أى صورة ؟

ويلسون : أوه ، لا يا مس .

اليزابث : (وهى تتنهد بارتياح) : شكرا لله على ذلك .

ويلسون : اذن فالشعر لا معنى له . أو على الأقل فهو ليس شعرا حقيقيا ، كالذى تكتبينه .

اليزابث : (ضاحكة) : لكنى لم أكتب ذلك ! كتبه مستر براونتج .

ويلسون : لابد أنه رجل ذكى .

اليزابث : أوه نعم ، انه كذلك !

(ويلسون تحمل فلش) .

حسن ، يا عزيزى فلش ، هل ستكون مهذبا اليوم ؟ (تمد ذراعيها للكلب ، ويلسون تناوله لها) سأطلب من ويلسون تقريرا عنك حين تعود . (الى ويلسون) أين ستذهبين به ؟

ويلسون : حسن يا مس ، أفكر فى نزهة قصيرة فى الحديقة فى مثل هذا الجو الجميل .

اليزابث : أوه نعم ، وأرجو أن تلاحظى الزهور ، أود أن أسمع كل شىء عنها . بالطبع ، لقد فات أوان زهر الوزال ، ولكن لابد من وجود بعض زهور القرنفل والخزامى والمنثور ، كذلك

بعض الورود المبـكرة .. أوه فلش ، أتمنى لو أتنازل عن كل شيء فى مقابل الخروج معك بدلا من ويلسون !

أوكتافيوس : (فى الخارج) : هل تـ — تسمحين لى الدخول ؟

اليزابث : ادخل يا عزيزى أوكى !

(يدخل أوكتافيوس . اليزابث تعطى فلش لويلسون) .

يا للعجب ماذا تفعل فى البيت فى مثل هذا الوقت من النهار ؟ .

(ويلسون تخرج حاملة فلش) .

أوكتافيوس : فكرة أبى الرائعة .. أقترح أن أحصل على أجازة نصف اليـوم لأساعدك فى استقبال الطائرين العزيزين والترحيب بهما .

اليزابث : (ضـاحكة) لكن لماذا ؟ أن هنريتا وآرابل قادرتان على القيام بهذا العمل . وكذلك أنا .

اوكتافيوس : الشيء الذى ينقصـكم هـو أنكن من نفس الجنس . يبدو أن أبى يرى ضرورة اشتراك واحدا من ذكور آل — باريت عـلى الأقل فى استقبالهما . يبدو أنه عازم كل العزم على أن

يراعى كل آداب السلوك مع آل هيدلى . وحين يعزم أبى كل العزم على أمر ، فلابد من تنفيذه . هل أنا مخطىء فى هذا ؟

اليزابث : (متنهدة) كلا — لابد من تنفيذه .. لكن أريد منك الآن أن تكون دبلوماسيا . كابتن سورتيز كوك سيزورنا فى نفس الوقت الذى تزورنا فيه بللا ومستر بيفان . انه قادم ليرى هنرييتا ..

اوكتافيوس : يا الهى — هـل سيزورنا ! وألا يبتهج الفتى الهمام حين يجد أن هناك أربعة رقباء عـلى هنرييتا !

اليزابث : لقد اتفقت مع آرابل أن تدعو بللا ومستر بيفان الى هنا لزيارتى . ولابد من حضورك معهم .

أوكتافيوس : أينبغى أن أحضر معهم ؟ ولماذا ؟

اليزابث : لكى تقضى هنرييتا والكابتن كوك فترة قصيرة على انفراد .

أوكتافيوس : أوه . آه . نعم — هو كذلك تماما فهمت .. ولا يبدو عليك أى احساس بالخجل من نفسك ؟

اليزابث : لا .

أوكتافيوس : لكن ألم يخطـر ببـالك يا عزيزتى با ، أننا

بتشجيعنا لها عـلى مثل هذه العلاقة الغرامية انما يلحق بها ضررا غير عادى ؟

اليزابث : نعم ، لكن أظن أنه ينبغى علينا أن نخاطر لكى ..

(ينظر اليها متسائلا) .

أوكى، حينألقيتم علىأنتم — الأولاد الستة — تحية المساء ليلة أمس قفز الى رأسى خاطر غريب وهو أنكم لستم أحياء على الاطلاق — بل مجرد آلات .

أوكتافيوس : يا الهى !

اليزابث : انكم كالآلات ، تستيقظون كل صـــباح فى السابعة والنصف ثم تتناولونفطوركم كالآلات . ثم تذهبون الى عملكم كالآلات . وتعودون الى البيت كالآلات . وتتناولون عشاءكم كالآلات.. ثم تنامون كالآلات .

أوكتافيوس : لكن ..

اليزابث : ورغم أن آرابل تسلك طريقا مختلفا الا أنهـا كالآلة تماما . ويبدو لى أنكم جميعا قد انتزعتم من الحياة كل ما يجعلها تستحق العيش —

أعنى الانفعال ، المغامرة ، التغيير ، الصراع ، الحماقة ، الحب ..

أوكتافيوس : نحن لم ننتزعها ، يا عزيزتى تلك العملية أجراها والدى العزيز .

اليزابث : أعرف ، لكن ..

أوكتافيوس : أوه ، أعترف أننا ضعفاء الارادة الى أبعد حد . فماذا عنك أنت ؟ لا أحـد منا يملك موهبة ، وكلنا يعتمد على أبى كل الاعتماد ، ويجب أن نطيعـه والا تحطمنا انك لا تـ — تنصحيننا بالتمرد ؟

اليزابث : لا — لكن لا أنصحكم بالاستسلام . امنحـوا أرواحكم الحياة . ما أخشاه هو أن تستكينوا الى حياة ليست هى حياة على الاطلاق . انكم جميعا — تسيرون فى هـذا الاتجاه ماعـدا هنريتا .

أوكتافيوس : وماذا جنت بمحاولتها تحقيق ذاتها ؟ تنال ركلا أكثر مما تنال نقودا !

اليزابث : نعم — لكن الركل يجعلها تحس بالحياة ! لذلك لا داعى أن تتوخى السلام والهـدوء فحسب

وتقوم بعمل يعرقل لقاءها الغرامى . حتى لو انتهى هذا اللقاء نهاية محزنة .

أوكتافيوس : سيحدث ذلك .

اليزابث : الحزن خير من الركود .

أوكتافيوس : كل هذا جميل ، يا عزيزتى با — لكن ماذا عنك ؟

اليزابث : عنى أنا ؟

أوكتافيوس : نعم ، أنت . نحن جميعا قد ننساق فى التيار باستثناء هنرييتا الصغيرة . لكن لا ألاحظ أنك تهتمين كثيرا بمقاومة هذا التيار . أين ا — استقرت البيرة فى النهاية ليلة أمس ؟

اليزابث : (بضحكة قصيرة كئيبة) : أوه ، لكنى لا أدخل فى الاعتبار ، أنا خارجة عن الموضوع . ان حياتكم أمامكم ، أما أنا فقد انتهت حياتى .

أوكتافيوس : هراء !

(تدخل هنرييتا) .

هنرييتا : عجبا ، ماذا تفعل هنا يا أوكى ؟

أوكتافيوس : أ — أمر أبى — نما اليه أن سورتيز كوك

سيحوم حول هذا المكان بعد الظهر لذلك بعث بى الى المنزل لأطرد الفـ — الفتى .

اليزابث : أوكى !

هنرييتا : (وهى تلهث من الذعر) : كيف علم بالأمر ؟ لا يمكن أن يكون قد سمع — (الى اليزابث) مالم تكونى أنت ، أو آرابل ..

اليزابث : أوكى ، أيها الأحمق ! لا يا عزيزتى ..

أوكتافيوس : آسف ! دعابتى الصغيرة ، كما تعرفين ..

هنرييتا : (بحدة) : انى أكرهك !

أوكتافيوس : هذا صحيح أيضا ، (يحيطها بذراعيه) . أكرر أسفى . بوسعك أن تصفعيننى ان شئت .

هنرييتا : (فى شىء من الهدوء) : بودى أن أفعل ذلك .

أوكتافيوس : (يجلس ويشدها لتجلس على ركبتيه) : لا ، يا صغيرتى . الأمر كما يأتى : بعث بى صاحب الجلالة لأكون مندوب جلالته فى حفل الاستقبال وانى لا أنـوى ترك بللا حتى لو جاءت هى وصاحبها الى هنا لتعانق با . وفى تلك الأثنـاء تسلين كوك — تـ — تماما كما تسليننى الآن .

(يقبلها) . وفى الحقيقة يمكن أن تعتبرى هذه بروفة صغيرة .

هنرييتا : (تقفز من على ركبتيه) : أوكى ! كيف بلغت بك الحماقة هذا الحد ! (تنصت) ما هـذا ؟ (تجرى الى النافذة) . أوه ، با ، لقد وصلوا ! فى موكبهم الرسمى ! عربة أسرة بيفان والخادم ، والجميع .

(أوكتافيوس ينضم اليها عند النافذة) .

أنظر الى بللا ! ما أجمل ثوبها ! ما أجمـل قبعتها ! رائعة ! أوه شوارب مستر بيفان ! (تمر بيدها حول ذقنها) أوكى ، ألا يخضر لونك من الغيرة يا أوكى .

أوكتافيوس : أشد الاخضرار بكل تأكيد .

هنرييتا : (تدفع أوكتافيوس نحو الباب) : اذهب وساعد آرابل فى استقبالهم ، اغرب عنى هيا ! سأبقى هنا حتى يصل كابتن كوك . وأمضى به الى الداخل . وبعد ذلك يمكنك ، أنت وآرابل ، أن تحضرا بللا ومستر بيفان الى هنا .

أوكتافيوس : فرغنا من هذا . لكن أصغ الى ..

هنرييتا : اغرب عن وجهى ! (تدفعه خارج الحجرة وتغلق الباب ، ثم تعود الى النافذة بسرعة وتتطلع الى الطريق بلهفة) كم الساعة ؟

اليزابث : (بابتسامة) الثالثة وخمس دقائق .

هنرييتا : بعد الثالثة ؟

اليزابث : بعد الثالثة .

هنرييتا : انى لا أفهم .. لقد قال الثالثة .. (بلهفة مفاجئة) يا — اليوم الخميس أليس كذلك ؟

اليزابث : نعم يا عزيزتى .

هنرييتا : (وهى تتنهد بارتياح) : أوه .. (تتحول الى النافذة مرة أخرى) أرجو أن يتمكن من الحضور بزيه الرسمى . فان هذا سيقضى على تموج شوارب مستر بيفان !

(اليزابث تضحك) .

أوه ، ها هو قادم !

(تجرى الى خارج الحجرة تاركة الباب مفتوحا) .

اليزابث : أرجو أن تقفلى الباب . (لكن هنرييتا تكون قد ذهبت بعيدا . اليزابث تهز كتفيها وهى تبتسم ، وتتناول كتابها وتبدأ القراءة . بعد

لحظة تسمع أصوات فى الخارج . ثم وقع أقدام تقترب . أوكتافيوس يدخل مرة أخرى .

أوكتافيوس : أأنت على استعداد لاستقبالهم ؟

اليزابث : نعم ، تمام الاستعداد .. ما شكلهم يا أوكى ؟

أوكتافيوس : أوه ، انها الـ — الجمال الذى نحلم به — وهو — ليس ..

(يخرج . فترة سكون ـ الأصوات تقترب . ثم تنطلق بللا الى الحجرة كالفراشة ، انها رائعة الجمال ، رائعة القوام ، ذلقة اللسان ، متكلفة ، عاطفية ، وبها عدم قدرة طبيعية على نطق حرف « الراء » . آرابل تتبعها ومستر هنرى بيفان وأوكتافيوس . مستر بيفان أنموذج للرجل المهذب . له لحية بديعة ، وصوته وسلوكه ممتلئان كساقيه ...) .

بللا : (باشتياق) : اليزابث ، ابنة خالى ! .

اليزابث (تمد يدها) : عزيزتى بللا ..

بللا (تجثو على ركبتيها بجوار الأريكة وتعانق اليزابث) : عزيزتى الغالية ! ها قد التقينا بعد كل تلك السنين ! لكن ياعزيزتى المسكينة ، البائسة ، كيف غدوت على هذه الحال المحزنة ! انك مدهشة جدا ، رقيقة جدا كالأثير .

اليزابث : وأنت يا بللا ، أجمل بكثير مما كنت تبشرين حين كنت طفلة .

بللا : انك تبالغين فى اطرائى ! (تقبل يد اليزابث ، وتنهض وهى لا تزال ممسكة يدها) . أتسمع هذا يا هارى [1] ؟ هذا عزيزى الغالى هارى .

مستر بيفان — مس اليزابث باريت .

بيفان (ينحنى) : أنا مسرور يا مس باريت ، مفتون ..

بللا (تمد يدها الأخرى الى بيفان . يأخذها) : لا ، لا يا هارى ، يجب أن تأخذ يدها .. (برقة الى اليزابث) هـذه اليد الرقيقة ، الهشة ، الروحانية !

بيفان (وهو يأخذ يد اليزابث وينحنى عليها) اليد التى سطرت الكثير من معانى النبل والبلاغة !.. لى عظيم الشرف يا مس باريت .

اليزابث : أشكرك . وهل تسمح لى أن أهنئك ؟ أهنئكما ؟ وأتمنى لكما السعادة .

بيفان : أشكرك يا مس باريت . أنا حقا رجل سعيد الحظ !

---

(١) لفظ التدليل لهنرى .

بللا : عزيزى هارى . عزيزتى با .

اليزابث : لكن ألا تتفضلون بالجلوس ؟ ..

(تجلس بللا وآرابل ، وبيفان . أوكتافيوس يقف بالقرب من النافذة) .

بللا : أنا هيمانة بقصائدك يا با ، وخاصة حين يقرأها هارى ! لقد قرأ لى « حفاوة الليدى جيرالدى » فى اليـوم التالى لخطبتنا . انه يقرأها بطريقة جميلة جدا ! وهو أيضا معجب بقصائدك — وهو أمر لابد ستسرين له ، لأنه ناقد فظيع .

بيفان : ما هذا الذي تقولينه يا عزيزتى ؟

بللا : أوه — لكنك كذلك يا هارى ! انه لا يستسيغ حتى قصائد الفريد تنيسون .

اليزابث : أحقا هذا يا مستر بيفان ؟

بيفان : لا اعتراض لى عليها كشعر ، لا اعتراض بالفعل. ان تنيسون يكتب دائما كرجـل مهـذب . ما يحزننى يا مس باريت هو أن موقفه من الأمور المقدسة يتسم بالشك فى أغلب الأحيان .

آرابل : ياله من شيء مؤسف ..

بيفان : انه لمؤسف حقا يا مس آرابل ! ويحزننى أن

أتحدث عن هذه الظاهرة المتفشية بين الشباب في هذه الأيام . ان فقدان الايمان ، والحاجة الى الوقار ، وروح السخرية أخذت تنتشر بينهم بسرعة . بالطبع لست أقصد مستر تينيسون بهذا الكلام ، فان شعره دائما يتميز بالوقار حتى حين يعبر عن الشك . والآن ان قصائدك ياعزيزتي مس باريت ، ليس فيها أى لمسة من هـذه الاتجاهات الحديثة . وليس فيها سطر واحـد يمكن أن أعترض عليه ولا حتى على طريقة بللا في قراءته .

اليزابث : ان ذلك — ذلك شيء سار للغاية ..

بللا : ان هارى جاد للغاية فيما يقول !

بيفان : ما هذا الذى تقولينه ، يا عزيزتى ؟

أوكتافيوس : مستر بيفان ، انك لم تقابل والدى بعد ، أليس كذلك ؟

بيفان : لا ، لم أنعم بهذا السرور بعد .

اوكتافيوس : أظن انكما ستنسجمان لدرجة عظيمة !

بيفان : حقـا ؟

بللا : أوه ، نعم لأن خالى العزيز ادوارد جاد الى حد

فظيع كذلك ، كثيرا ما كانت والدتى تحدثنى عن ذلك .. لكن هناك أمر واحد لابد أنكما ستختلفان عليه . فخـــالى العزيز ادوارد ، يا هارى ، مثل أبى وأمى من أشـــد المنشقين على الكنيسة البروتستانية .

بيفان : (فى أسى) آه ، آه ، حقا ..

أليزابث : اذن فأنت يا مســـتر بيفان عضـــو فى كنيسة انجلترا ؟

بيفان : فى الحق يا مس باريت انى كذلك فقد نشأت مثل بللا فى بيئة من المنشقين ، لكن جامعة أكسفورد غيرت هذا كله . لقد أقنعنى صديق عزيز لى أن أشهد الطقوس فى كنيسة سانت مارى حيث كان الدكتور نيومان يقوم بالوعظ كما تعرفين ، وأن أدرس أعمال پوسى .. ومنذ عامين قبلت عضوا فى الكنيسة .

آرابل : (فزعة) : پوسى .. الدكتور پوسى .. لكنك يا مستر بيڤان لست — لست ..

بللا : أوه ، لكنه كذلك ، يا عزيزتى آرابل ، وأنا أيضا ! كلانا من أتباع پوسى ! بالطبع ، لقـــد

استاء أبى وأمى أشد الاستياء أول الأمر وخشيا أن يكون تحولى عن عقيدتى بتأثير من هارى . لكن فى الحقيقة كنت أحس منذ وقت طويل بأن هناك تعصبا ما فى مذهب المنشقين .. ألا ترين يا با أن شيئا ما ينقصه ؟ ألا تشعرين أنه لون من العبادة لا يناسب مستوانا الاجتماعى بقدر ما يناسب طبقات الدهماء ؟ .

أليزابث : (بضحكة سريعة مكبوتة) لا — لا أستطيع القول بأنى نظرت اليه على هذا النحو .. لكن أخبرينى الآن ، يا عزيزتى ، متى سيتم الزفاف ؟ أم أن هذا يعد فضولا منى ؟

بيفان : كلا ، على الاطلاق ، يا عزيزتى مس باريت ، كلا ، مطلقا . اننا ..

بللا : (بانفعال) : أوه ، هذا يذكرنى ! أين عزيزتى هنرييتا ؟ ..
الزفاف ؟ فى أوائل أغسطس (تدور ببصرها فى الحجرة) أين هنرييتا ؟

أوكتافيوس : انها الآن فى الطابق الأول تجالس صديقا لها .

بللا : أوه ، كان بودى أن أسألها — صديق ؟ أليس

ذلك الرجل الطويل الذى رأيناه فى الصالة ؟

أليزابث : نعم ، كابتن سوورتيز كوك .

بللا : أوه ، فى الجيش ؟ شىء مثير ! كنت أظن أن له غربة عسكرية ! اذن فهـــو صديق عـــزيزتى هنرييتا ؟

أليزابث : نعم .. أتريدين أن تسألى هنرييتا عن شىء ؟

بللا : أوه ، أجل ! أوه يا با ، أريد أن تكون احدى وصيفات الشرف فى حفل زفافى ! . أتظنين ..

(تدخل هنرييتـا وتبدو فى ذهـول . بللا تهب واقفة) .

(تمسك بكلتا يديها) : هنرييتا حبيبتى ، كنت أقول على التو — أوه ، يجب أن تكونى احدى وصيفات الشرف فى حفـل زفافى ! يجب أن تكونى كذلك !

هنرييتا : وصيفات الشرف ؟ أوه ، نعم — فى زفافك . أود ذلك من كل قلبى يا بللا . جميل منك أن تطلبى منى ذلك . سأقبل بالطبع — اذا كان أبى — لكنى متأكدة أنه لن يعترض ..

بللا : لن يعترض ؟ خالى ادوارد ؟ ولماذا يعترض ؟

هنريتا : لا ، لا ، أنا متأكدة أن الأمر سيسير على خير وجه . لست أرى ما يدعوه للاعتراض .

بللا : اعتراض ؟ لكنى لا أفهم ! .. أليست هى غريبة فى رأيها هذا ، يا با ؟ كل ما فى الأمر أنك يا عزيزتى مدعوة كوصيفة شرف — لا كعروس !

هنريتا : نعم ، أعرف ذلك ، لكننى — أوه ، من الصعب أن أشرح لك ..

بيفان : (متدخلا لمساعدتها فى وقار) ربما أن مستر باريت ينظر الى الوصيفات باعتبارهن حماقات لا ضرورة لها فى حفل مقدس موقر كالزواج .

هنريتا : لا ، لا يا مستر بيفان . ليس الأمر كذلك . انه — (الكلمات تندفع فجأة) انه ببساطة ، انه لا شىء — لا شىء يجب أن يحدث فى هذا البيت دون موافقة أبى . أنت تعرف أنه كان يملك عبيدا فى جامايكا يوما ما ، ولما كانت النخاسة قد ألغيت هناك فانه يواصلها فى انجلترا ! أنا جادة للغاية . نحن جميعا هنا عبيد له .

آدايل : هنريتا !

(تبدو الدهشة والحرج على بيفان وبللا) .

هنرييتا : حسن ، ألسنا كذلك ؟ ألسنا كذلك يا أوكى ؟ ألسنا كذلك يا با ؟ اننا لا نملك أن نحرك يدا أو قدما دون اذن منه . علينا أن نطيع أقل اشارة وأن نقبل كل نزواته — وهى متقلبة كالطقس ! اننا لا نملك ذات أرواحنا ، لا أحد منا .. ! واعلمى يا بللا ، انه فى الغالب سيرفض السماح لى بأن أكون وصيفة شرف لك ، لا لسبب سوى أن مزاجه منحرف !

أوكتافيوس : على فكرة — ما أخبار الشاى ؟

آدابل : (تنهض بسرعة) : أوه ، نعم ، صحيح !

هنرييتا : الشاى معد . آسفة — نسيت أن أخبركم .

أوكتافيوس : يا الهى الرحيم ، لذا — لنسرع والا ابتلعه الكابتن كوك !

(يتجه عبر الحجرة نحو الباب ويفتحه) .

هنرييتا : لقد انصرف .. (تمضى الى النافذة وتقف عندها . وقد أخفت نصف وجهها) .

بللا : (الى اللقاء يا عزيزتى با (تقبلها) لقد سعدت برؤيتك ! أتأذنون لى بزيارتكم مرة أخرى ؟

وفى المـرة القادمة أريد أن أخلو بكم ، أعنى ألا يكون هارى برفقتى .

اليزابث : تفضلى متى شئت ، يا عزيزتى .

بيفان : لكن لماذا أستبعد ؟

بللا : لأن لدى كلاما كثيرا ، كثيرا أريد أن أفضى به لعزيزتى با عن رجل ما ، رجل كبير ، كبير قد يمتلىء غرورا اذا سمعنى !

بيفان : ما هذا الذى تقولينه يا عزيزتى ؟

(تمسك بللا بذراع آرابل . بيفان ينحنى على يد اليزابث) .

الى اللقاء ، يا عزيزتى مس باريت .

اليزآبث : الى اللقاء ، كان لطيفا منك أن تحضر لزيارتى .

بيفان : لا داعى للشكر ، كنت فى شوق الى أن أحظى بزيارتك منذ وقت طويل . الى اللقاء .

(بللا وذراعها ما زال فى ذراع آرابل ، تقبل يدها وترسل القبلة فى الهواء لاليزابث) .

بللا : الى اللقاء ، يا حبيبتى .

اليزابث : الى اللقاء .

(بللا وآرابل تخرجان) .

بيفان : (عند الباب . يتحول ويتحنى) الى اللقاء .

اليزابث : الى اللقاء .

(بيفان يخرج . أوكتافيوس ، يتحول عند الباب وينحنى لاليزابث ، مقلدا بيفان ، ويتبعه . اليزابث تبتسم ، وتحملق فى هنرييتا التى ما زالت واقفة عند النافذة ووجهها نصف مختف ، ثم تتناول كتابا وتبدأ فى القراءة . فترة سكون ، هنرييتا تلتفت اليها فجأة) .

هنرييتا : (بعنف) : حسن ، لماذا لا تقولين شيئا ؟

اليزابث : (ببرود) : ماذا تريدتنى أن أقول ؟

هنرييتا : لا شيء .. أوه . يا لا تزجرينى .

(تمضى الى اليزابث ، وتجلس على الأرض بجوار أريكتها) . أعلم أنى أستحق ذلك . كنت فظيعة . لكن لم أستطع السكوت ، أنى تعسة للغاية .

اليزابث : (بسرعة) تعسة ، يا عزيزتى ؟

هنرييتا : نعم — و — وفى منتهى السعادة ! يا ، عزيزتى ، هل أخبرك بالأمر ؟ أعرف أنه ينبغى ألا أفعل ذلك ، لأنه لو تطور الأمر وسألك أبى اذ كان لديك فكرة عما كان يحدث ، فانك ستضطرين

حتما الى الكذب — وهو أمر تكرهينه . أو تعترفين بأنك على علم به . وحينذاك يصب عليك نصف غضبه لأنك لم تخبريه بالأمر فى حينه .

اليزابث : لا تهتمى بهذا . تكلمى يا عزيزتى .

هنرييتا : لقد طلب سورتيز يدى منذ لحظة ..

اليزابث : أوه ، هنرييتا ! لكن ..

هنرييتا : وبالطبع ، وافقت . لكنى قلت انى لا أستطيع . وكنت مضطرة الى أن أخبره أننا يجب ألا نلتقى مرة أخرى . حين يأتى لزيارتى غدا فسيكون علينا أن ..

اليزابث : انك ، أيتها الطفلة ، لا تتكلمين كلاما معقولا . ماذا حدث حقا ؟

هنرييتا : لا أدرى .. سوى أن كلا منا يحب الآخر حبا عنيفا . أوه ، يا ، ماذا علينا أن نفعل ؟ ان سورتيز لا يملك من المال سوى ما يعينه على حياة عادية . وأنا ، بالطبع لا أملك بنسا واحدا . لو كنت أملك ايرادك السنوى الذى يبلغ

أربعمائة جنيه لتحديث بابا وهجرت البيت وتزوجت سورتيز غدا !

اليزابث : ما جدوى المال بالنسبة لى ؟ أنا مستعدة أن أهبه لك ، وكم يسرنى أن ..

هنرييتا : أعلم ذلك ، يا عزيزتى ، لكن هذا مستحيل ! تصورى كيف ستكون حياتك اذا عرف أبى أنك مكنتينى من الزواج ! كلا ، لكن أليس من السخرية القاسية أن نجد أن الفتاة الوحيدة فى العائلة التى تملك وسيلة الحرية والسعادة — لا تستطيع الاستفادة منها ؟ (باهتمام مفاجىء) عزيزتى با ، أليس هناك شىء — أى شىء على الاطلاق — يمكن أن يقال لأبى بشأن موقفه من الزواج ؟ أمن الخطأ أن أحب رجلا بعنف — و — وأتطلع الى انجاب أطفال ؟

اليزابث : لا .. لكن — كيف لمثلى أن تجيب على سؤال كهذا ؟ الحب والأطفال بعيدان عن حياتى ..

هنرييتا : نعم ، أعلم ذلك يا عزيزتى . انك امرأة لك ظروفك الخاصة . لكن الحب والأطفال أمر

طبيعى بالنسبة لفتاة عادية مثلى وما هو طبيعى لا يمكن أن يكون خطأ .

اليزابث : لا .. ورغم ذلك فان القديسين والقديسات ينبذون هذه الأشياء ..

هنرييتا : عجبا . لكنى لست قديسة . وكذلك أبى ! ألم يتزوج ، و ..

(طرق على الباب) .

اليزابث : أدخل .

(تدخل ويلسون) .

ويلسون : مستر روبرت برونتج حضر يا مس .

اليزابث : (لاهثة) : مستر — مستر براوننج .. ؟

ويلسون : نعم ، يا مس .

هنرييتا : اذن يحسن أن أخرج !

اليزابث : (مضطربة .. بسرعة) : لا — لا ابقى هنا . لا أستطيع لقاءه . أنا — أنا لا أستطيع — لا أستطيع ..

هنرييتا : لكن ماذا دهاك يا با ؟ لقد قلت لى أمس ..

اليزابث : أعرف . أعرف لكنى فى الحقيقة لا أحس القدرة على لقائه الآن — (الى ويلسون) بلغى مستر

براوننج انى آسفة لأنى لست فى حالة صحية تسمح بلقائه .

هنرييتا : يا ، هذا غير صحيح ! لا يصح يا عزيزتى أن تطرديه بهذه الطريقة . انها عدم لياقة وقسوة للغاية أن تطرديه بعد أن طلبت منه الحضور وبعد ما بذل من جهد للوصول الى هنا (الى ويلسون) أين مستر براوننج ؟

ويلسون : أدخلته المكتبة يا مس .

اليزابث : لكنى — أفضل عدم لقائه .

هنرييتا : أوه . هراء ، لست تلميذة ساذجة ! سوف أحضره بنفسى . مستر كينيون يقول أنه يبدو رومانتيكيا رائعا ومتأنقا الى أقصى حد .

(هنرييتا تخرج) .

اليزابث : هل شعرى منسق ؟

ويلسون : نعم ، يا مس يا .

اليزابث : أوه ، أرجوك أن ترتبى الغطاء على قدمى ..

(ويلسون ترتب الغطاء) .

أشكرك .. و . ويلسون — لا .. أشكرك ، يكفى هذا ..

ويلسون : نعم ، يا مس (تخرج) .

(اليزابث ، فى حالة ظاهرة من توتر الأعصاب تنتظر قدوم روبرت براوننج . فترة سكون تدخل هنريتا) .

هنريتا : مستر روبرت براوننج .

(يدخل روبرت براوننج . انه رجل أسمر جميل فى منتصف العقد الثالث . تبدو التأنق فى ملبسه أكثر من اللازم نوعا ما ، على كتفيه دثار مربوط فى رقبته بسلسلة ، يحمل قبعته العالية وقفازا أصفر وعصا داكنة . سلوكه يتسم بالصدق والحرارة ، كلامه سريع ومنطلق يؤكده باشارات سريعة . هنريتا تخرج) .

براوننج : (يتوقف لحظة على بعد خطوات قليلة من عتبة الباب) : مس باريت ؟ ..

اليزابث : (تمد يدها) : كيف حالك يا مستر براوننج ؟

براوننج : (يضع قبعته وعصاه وقفازه جانبا ، ويتجه الى الأريكة ، ويأخذ يد اليزابث بين يديه) : عزيزتى مس باريت .. أخيرا ! (يرفع يدها الى شفتيه) أخيرا !

اليزابث : (وهى لا تزال مضطربة ، وقد غمرها بطريقته

الحماسية وتحرره من التقاليد) : كنت — كنت مضطرة الى تأجيل السرور بمقابلتك وقتا أطول مما كنت أرجو ..

براوننج : (وهو ما زال ممسكا يدها) : أكنت لا تسمحين بمقابلتى اذا لم أكن قد ألححت الى حد المضايقة؟

اليزابث : كما تعرف من خطاباتى ، لم أكن على ما يرام خلال الشتاء وكنت — (تنتبه الى أن يدها ما زالت فى يده فتسحبها) لكن ألا تخلع دثارك ؟

براوننج : أشكرك (يحل دثاره ويضعه جانبا) .

اليزابث : مستر براوننج ، أ — أرجو ألا تكون متضايقا من جو الحجرة الخانق ؟

براوننج : لا ، لا ..

اليزابث : يرغمنى طبيبى على البقاء فى مكان أخشى أن يكون جوه بالنسبة لك كجو مشتل الزهور ..

براوننج : (وقد ألقى نظرة خاطفة على الحجرة) : رائعة قد تظنين يا مس باريت — انى أزور هذه الحجرة لأول مرة ، أنت تعلمين أنك مخطئة تماما !

اليزابث : لكن ..

براوننج : انك مخطئة تماما .. لقد شاهدت هذه الحجرة مرات أكثر مما تحصيها ذاكرتى . انها مألوفة لدى كحجرة مكتبى الصغيرة فى منزلى .. وقبل أن أحضر الى هنا كنت أعرف الطريقة التى تنسقين بها كتبك ، وأعرف نبات العليق الذى تغطى سيقانه المتسلقة زجاج النافذة — وهذه التماثيل النصفية لهوميروس وتشوسر أصدقاء قدماء لى وكثيرا ما أطلوا على من قبل ! ..

اليزابث : (تحتج وهى تبتسم) ، كلا ، حقا .. !

براوننج : لكن لم أستطع معرفة من هم الأشخاص الآخرون الذين كانوا فوق الصوان ، و ..

اليزابث : (ضاحكة ويبدو عليها الارتياح) : أوه — تكلم يا مستر براوننج ! أعرف أن مستر كينيون العزيز لا يمل الحديث عن أصدقائه ، لكن لا أستطيع أن أصدق أنه وصف لك حجرتى الصغيرة وصفا دقيقا !

براوننج : (يجلس بجوارها) : استخلصت منه كل ما يمكن استخلاصه من التفاصيل — وأضافت

مخيلتى الباقى . وعقب قراءة أشعارك الجزيئة الحلوة ، كنت تواقا الى معرفة أى شىء وكل شىء عنك .

اليزابث : (تبتسم) : انك تخيفنى يا مستر براوننج !

براوننج : لماذا ؟

اليزابث : حسن ، أنت تعرف كيف يطلق الحماس لسان مستر كينيون — وهو وأنا صديقان حميمان . انى أحس بالخجل حين أتصور ما قاله لك عنى .

براوننج : مس باريت ، أتعنين — ما قاله عن شخصك ؟

اليزابث : أحس انه لا أمل لى فى الوصول الى الدرجة التى وصفنى بها .

براوننج : لم يحدثنى عن شخصك أى حديث ذى بال بالنسبة لى .

اليزابث : (متحيرة) : أوه ؟

براوننج : كنت أستمع بشغف الى كل ما استطاع أن يذكره لى عن الأشياء التى تحيط بك وعن ظروف حياتك أما كل ما قاله عنك فأشياء على الهامش لأنى كنت أعرفها من قبل — أكثر

مما يعرفها مستر كينيون بالرغم من أنه صديق قديم لك !

اليزابث : لكن — أوه — يا مستر براوننج ، هل كشفت كتاباتى البسيطة تماما عن سريرتى ؟

براوننج : تماما — تماما — كلية بالنسبة لى أنا .. ! لكن لا أستطيع أن أعبر عن رأى بقية الناس .

اليزابث : (مبتسمة) انك تثير خوفى مرة أخرى !

براوننج : لا ؟

اليزابث : لكنك تخيفنى ! لأنى أخشى أن أى محاولة منى للتظاهر ستكون عديمة الجدوى .

براوننج : عديمة الجدوى تماما !

اليزابث : أيجب أن أكون على سجيتى دائما ؟

براوننج : على الدوام .

اليزابث : أوه .. (بنزعة) وأنت أيضا يا مستر براوننج ؟

براوننج : دائما — على حقيقتى تماما ! (يبسط يده .. تتناولها بابتسامة — ثم ترسل ضحكة مفاجئة لكنك تعرفين حقا يا منس باريت أنه لا يمكن أن يكون لى فضل فى هذا . ان ترك نفسى على سجيتها أمر سهل كالتنفس — أما التظاهر

والتمثيل فلا أجيده . علاوة على ما يجره علىّ من متاعب .. ! اذا كان للحياة أن تجرى فى يسر وسهولة ، فعلينا جميعا أن نصبح ممثلين فى عرض صامت وأنا لا أستطيع أن أكون كذلك .

اليزابث : نعم ، أعتقد تماما أنى أفهمك الآن ، لكن أليس هذا عجبا ؟ فأنت حين تكتب لا تفعل شيئا على الاطلاق سوى التمثيل والتظاهر .

براوننج : أعرف ..

اليزابث : لم تكن على سجيتك على الاطلاق فى أية قصيدة من قصائدك . ان شخصا ما يتحدث دائما على لسانك .

براوننج : نعم ، وهل أوضح لك السبب ؟ أنا رجل شديد التواضع . (بسرعة بعد فترة سكون قصيرة) أنا حقا كذلك . !

اليزابث : (بسرور مكتوم) لم أشك فى هذا ، يا مستر براوننج .

براوننج : شديد التواضع ، فأنا أعرف جيدا أنى اذا كتبت عن نفسى — عن آمالى ومخاوفى ، عن مقتى

وحبى الى غير ذلك — فستكون أشعارى مملة الى درجة لا تطاق .

اليزابث : (تضحك بسرور) : حسن — ما دمنا لم نتعاهد على شيء سوى الصدق فلن أناقض كلامك هذا — حتى أزداد معرفة بك !

براوننج : (بضحكة) : براڤو !

اليزابث : (بحماس) أوه ، لكن هذه القصائد ، بما فيها من فرحة واقبال صادق على الحياة — لا يمكن أن تتصور ما تعنيه بالنسبة لى ! ها أنذا محبوسة بين أربعة جدران ، ومنظر شارع ويمبول هو كل ما أراه من العالم ، ويحتشد أشخاص قصائدك الغرباء من كل زمان ومكان فى حجرتى وحول أريكتى ، وكلهم ينبضون بالحياة ! الحياة — الحياة ! لا . انك لن تعرف كم أنا مدينة لك !

براوننج : (بعطف) : أحقا تعنين ذلك ؟

اليزابث : لماذا ، لماذا يا مستر براوننج ..

براوننج : لكنك تعنين ذلك بالطبع ، والا لما صرحت به ! وسوف تصدقيننى حين أخبرك ان ما قلته

يعوضنى آلاف المرات عن الاعراض الذى لاقيته من الجمهور .

اليزابث : (فى اضطراب) : أوه ، هذا يثير حنقى ! لماذا لا نعتبر النسر نسرا حتى ينشر جناحيه ويطير بعيدا عنا الى غير عودة ؟ انى أمقت الجمهور البريطانى !

براوننج : (بلطف) : أوه لا ، لا ! عزيزى الجمهور البريطانى القديم ! لقد منحنا على الأقل وقتا نتسلى فيه بالاساءة اليه ! وعلى فكرة ، يا مس باريت يساورنى شعور ملح بأن أسلوبى مسئول الى حد كبير عن عدم شعبيتى .

اليزابث : (بشىء من اللهفة) : أوه . بالتأكيد لا !

براوننج : ألم تتفق على ألا يمثل أحدنا على الآخر ؟

اليزابث : (بضحكة) : مطلقا ! حسن — ربما توجد فى قصائدك بعض عبارات غامضة قليلا — أعنى أعمق قليلا من ادراك القارىء العادى .

براوننج : أوه كلا ! ليس فيما أقول . ولكن فى الطريقة التى أقول بها .

اليزابث : أوه ، لكن ..

براوننج : ومع ذلك فانه بالنسبة لى سهل وبسيط كقاعدة الثلاثة ! وبالنسبة اليك ؟

اليزابث : حتمن .. ليس كذلك على الدوام ، فأحيانا توجد عبارات .. (تتناول كتابا) لقد وضعت علامة على عبارة أو عبارتين من قصيدتك « سوردیللو » — حيرتنى كثيرا ، فهذه مثلا .. (تفتح الكتاب وتناوله له) .

براوننج : (يتناول الكتاب) : أوه « سوردیللو » ! أوه لقد سماها شخص ما « فزع الظلام الكبير » ولقد بذلت ما بوسعى لأنساها . ومع ذلك — (يقرأ العبارة لنفسه ويبتسم ، الابتسامة تتلاشى ، يمر بيده على جبينه ويعيد قراءتها . تراقبه — تخفى ابتسامة . يتمتم) شىء غريب .. لكنها — لكنها فقرة منفصلة عن سياق الكلام ..

(ينهض ويتجه الى النافذة كأنما يريد مزيدا من الضوء على الموضوع ، يقرأ العبارة للمرة الثالثة .. اليزابث تجد صعوبة فى اخفاء سرورها . يلتفت اليها وعليها امارات الاكتئاب والدهشة) .

اليزابث : حسن ؟ ..

براوننج : حسن ، يا مس باريت — حين كتبت هـذه العبارة كان يفهمها الله وروبرت براوننج . والآن لا يفهمهما الا الله .

(تضحك ، ويشاركها الضحك) .

ما رأيك — هل تضيء هذا الظلام الكبير بالقائها فى النار ؟

اليزابث : (فى غضب ؟ : كلا ، بالتأكيد ! لن نعمد الى شيء من هذا ! أرجوك أن تعيد الى الكتاب .

(يعيده اليها) .

هذه العبارات ليست سـوى بقع على سطح الشمس . أنا مغرمة « بسورديللو » .

براوننج : (بلهفة) : مغرمة بها ! بالطبع مغرمة بها ! وهل أدلك على السبب ؟ لأنها فشل ضخم .

اليزابث : ان كنت تعنى بالفشل محاولة — نعم فأنت على حق ! وهذا هو السبب فى أن سورديللو تجد هوى فى قلبى . أنا بدورى أقـوم بمحاولات ضخمة — وأفشل دائما .

براوننج : أ لايعدل فشل واحد كهذا مائة نجاح صغير ؟

اليزابث : أوه — بل ألف وزيادة !

براوننج : (بلهفة) أترين ذلك أيضا ؟ لكنى بالطبع كنت أعلم ذلك ! .. مس باريت ، لقد ابتسمت حين أخبرتك أن كينيون لم يكن بحاجة الى وصفك لأنى كنت أعرفك تمام المعرفة من قبل . وان ما قلته منذ لحظة عن النجاح والفشل أكد لى فى النهاية صدق نظرتى . كل ما فعله كينيون هو ملء المنظر الخلفى للصورة — أنا — أنا الذى رسمت صورتك — وروحك الأصيلة الجميلة المتوقدة ، تطل منها .

اليزابث : متوقدة ، جميلة ! وتظن أنك تعرفنى ! (بابتسامة مريرة) أوه ، يا مستر براوننج — انى كثيرا ما أكون متبرمة ثائرة ..

براوننج : حسن ، وأى ضير فى هذا ؟ أنا لا أحب الصبر التام على المحنة . ان الصورة التى رسمتها صورة لامرأة وليست لملاك . وأى امرأة أحق منك بالتبرم والثورة ؟

اليزابث : هل رسم المستر كينيون منظر صورتى الخلفى بفرشاة قاتمة للغاية ؟

براوننج : لو رآها رايموندت العجوز لحسده عليها !

اليزابث : (تبتسم) عزيزى البائس مستر كينيون ! إنه ملكى أكثر من الملكة نفسها ! أؤكد لك أن أحزانى تؤرقه أكثر مما تؤرقنى .. أظن انه أخبرك انى امرأة تموت .

براوننج : كلنا ميتون .

اليزابث : وان أسرتنا تحيا حياة كئيبة للغاية ؟

براوننج : نعم ، أشار الى شىء من هذا .

اليزابث : فى الحق كان يجب ألا يذكر مثل هذه الأمور ! والآن قل لى بصراحة يا مستر براوننج ، هل وجدتنى هذا الشىء الذى يستحق بالغ الرثاء ؟

براوننج : وجدك ، كما توقعت ، مليئة بالشجاعة والمرح .. وبالرغم مما تقولين ، لست متأكدا على الاطلاق أن ألوان كينيون كانت قاتمة .

اليزابث : لكن ..

براوننج : (يقاطعها بسرعة) ، لا . لا أصغ الى — تلك الألوان لم تجف بعد ، يجب أن تمسح ! ويجب أن يعاد رسم المنظر الخلفى من جديد ! .. فان

أذنت بذلك — فيجب أن أسهم فى هـذا العمل الرائع .

اليزابث : لكن يا مستر براونج ..

براونج : (وهو يحلق بخياله) لا . اسمعى ! سأغمس فرشاتى فى مطلع الشمس وغروبها وفى قوس قزح ! انك تقولين أن أشعارى كانت عونا لك — انها لا شيء — انه أنا — أنا الذى سأعاونك الآن ! لقد التقينا فى النهاية — ولا أريد أن تبتعدى عنى مرة أخرى .

اليزابث : لكن ..

براونج : لا . اسمعى . ناولينى يديك (ينحنى ويتناولهما) بى طاقة من الحيـاة أكثر ممـا يحتاجه انسان واحد . انها تغلى وتموج فى نفسى . لقد أنفقت قليلا من هذه الطاقة الزائدة فى رسم شخصيات خيالية لرجال ونساء وما زال لدى الكثير من هذه الطاقة التى لا أفيد منها الا بمنحها لغيرى . هل تسمحين لى بأن أمنحك اياها . ألا تحسين بحياة جـديدة تسرى وتخزك فى أصـابعك وذراعيك وتصل مباشرة الى قلبك وعقلك ؟

اليزابث : (فى شىء من الخوف والرعـــدة) : أوه . أرجوك .. مستر براوننج أرجـوك أن تترك يدى .

(يفتح يديه ، لكنها تترك يديها على كتفه برهة . ثم تسحبها وتمسك خديها بيديها وتحـــدجه بعينين تنمـان عن الدهشـــة والانزعاج) .

براوننج : (بهدوء) حسن ؟

اليزابث : (فى قلق وخفة مصطنعة) فى الحقيقة أنك . انك شخص عظيم التأثير والحقيقة أنى ..

براوننج : لا — لا تذكرى لى مرة أخرى أنك تخافيننى ! — فلست كذلك . بل هى الحياة التى تخافينها — وهذا ما لا يجب أن يحدث .

اليزابث : الحياة ؟

براوننج : نعم .

اليزابث : حسن ، حين تصبح الحياة سلسلة من الصدمات الكهربية — .. !

براوننج : (مبتسما) أكانت سيئة الى هذا الحد ؟

اليزابث : (مبتسمة) : نعم ، بالفعل ! هل لك مثل هذا التأثير على الناس ؟

براوننج : كثيرا ما قيل لى ذلك .

اليزابث : (بخفة) لا عجب أنى ترددت فى مقابلتك ، بقدر رغبتى فيها ! لابد وأنى شعرت بشىء من الازعاج من حيويتك المتدفقة من خطاباتك وأشعارك .. سوف تضحك منى يا مستر براوننج ، لكن ألا تعرف اننا كنا نوشك ألا نتقابل اليوم ؟ حين أخبرتنى خادمتى بحضورك انتابنى الفزع الى حد أنه لم يكن لى من سبيل الا أن أبعث اليك برسالة أبلغك فيها انى مريضة لدرجة لا تسمح باستقبالك وبذلت جهدا كبيرا لأجمع شتات نفسى وأبدو — حين تدخل الحجرة — انى امرأة عاقلة .

براوننج : أعتقد أنى كنت عصبيا مثلك فى تلك اللحظة

اليزابث : أنت ، يا مستر براوننج !

براوننج : نعم — وما أنا عادة الا رجل عصبى — لكن تلك اللحظة كانت ذروة حياتى — وما زالت .. أتذكرين يا مس باريت أول خطاب كتبته لك ؟

اليزابث : نعم ، بكل تأكيد ! كان خطابا رائعا .

براوننج : ربما كنت تظنين انى سطرته فى نوبة من الحماس

المشتعل من أشعارك . لم يكن الأمر كذلك كنت أزن كل كلمة فى كل جملة — وجملة واحدة بالذات — وهذه الجملة « أحب كتبك من كل قلبى — وأحبك أنت أيضا » أتذكرين ؟

اليزابث : (بخفة) : نعم — وكنت أظن أنها نتيجة اندفاع لطيف من جانبك .

براوننج : (يغلب عليه الانفعال) لكنى أخبرك انه لم يكن اندفاعا من جانبى . لقد أحسست بهذه الجملة احساسا عميقا وقلبت فيها الرأى طويلا كأى جملة كتبتها .

اليزابث : أتمنى أن يكون لى قراء كثيرون مثلك . انه لشىء رائع أن أفكر أن لى أصدقاء أوفياء لم أرهم ولم أسمع عنهم فى شتى أنحاء العالم .

براوننج : لست أتحدث عن الصداقة ، ولكن عن الحب .

(اليزابث على وشك أن ترد عليه بابتسامة) .

لا جدوى من محاولتك اغفال الكلمة بابتسامة أو اشارة . قلت الحب — وأعنى الحب .

اليزابث : لكن فى الحقيقـــة يا مستر براوننج يجب أن أسألك ..

براوننج : (يقاطعها بسرعة) : لست مجنونا أو متقلب المشاعر — أنا عاقل ومتزن التفكير كأى رجل . ولكن منذ قرأت أشعارك أصابنى منك مس طوال تلك الشهور ، وأنت اليوم محور حياتى .

اليزابث : (بجنون بالغ) : اذا أخذت كلامك على محمل الجد يا مستر براوننج فانه يعنى بالطبع نهاية عاجلة لصداقة تبشر أن تكون مصدر سعادة لى ولك .

براوننج : لمـــاذا ؟

اليزابث : أنت تعرف جيدا ان الحب بالمعنى الذى تقصده ليس له على ما يبدو مكان فى حياتى ، ولا يمكن أن يكون له مكان .

براوننج : لمـــاذا ؟

اليزابث : لأسباب كثيرة — ولكن ليكن فى هذا الكفاية ، أنا كما قلت لك من قبل امرأة تموت .

براوننج : (بعاطفة) : أرفض أن أصـــدق هـــذا ! لأنه

لو صح هذا لكان الله قاسيا ، لكنى أعلم أنه رحيم — ولكانت الحياة ظلاما وشرا ، وأنا أعلم أنها خير لا يجب أن تقولى هذه مرة أخرى . أنى أمنعك من هذا .

اليزابث : تمنعنى يا مستر براوننج ؟ ..

براوننج : نعم — أمنعك . أليس من العدل أنك اذا حرمت على الحديث بما أحس به نحوك وقيلت أوامرك — طوعا — أن يسمح لى أيضا بشىء من هذا التحريم .

اليزابث : نعم ، ولكن ..

براوننج : (يقاطعها بفرحة مفاجئة) عزيزتى مس باريت ، يالها من بداية رائعة لصداقتنا ! لم تتعارف الا منذ أقل من نصف ساعة ومع ذلك فقد تحدثنا فى صفاء عن الفن والحياة والموت والحب ، وأصدر كل منا أوامره الى الآخر ، وكدنا نتشاجر ! أهناك شىء أكثر من هذا مدعاة للسرور والأمل ؟ .. باذن منك ، سأنصرف الآن . مستر كينيون شدد على أن أجعل زيارتى الأولى قصيرة ما وسعنى ذلك ، لأن الغرباء

يسببون لك المتاعب . ليس معنى هـذا انى غريب ! ومع ذلك فأرى انك مجهدة .. متى أعود لزيارتك ؟

اليزابث (فى شىء من الدهشة) : لا أدرى بالضبط .. أنا ..

براوننج : الأربعاء القادم أهذا موعد مناسب ؟

اليزابث (كما كانت من قبـل) نعم — أظن — أظن ذلك . لكن لا يحسن أن ..

براوننج : الأربعاء القادم ، اذن .

اليزابث : لكن ..

براوننج : وأيضا فى الثالثة والنصف .

اليزابث : نعم — ولكنى ..

براوننج (يظل ممسكا يدها بطريقة بارعة) : الى اللقاء .

اليزابث (وهى تتنهد بعد فترة سكون) : الى اللقاء .

(براوننج يقبل يدها ـ ويتحول ويأخذ قبعته ودثاره .. الخ ، ويخرج . وفى اللحظة التى يغلق فيها الباب وراءه . تعتـدل جالسة وتمسك وجهها بكلتا يديها . ثم تنزلق من

الأريكة وتقف على قدميهـــا وقفة مقلقلة وبمعونة المنضدة والمقاعد تستطيع أن تعبر الحجرة الى النافذة . وتمسك بالســـتار لتساعد نفسها . تقف وتطل على براوننج فى الشارع ، وعلى وجهها حيوية الانفعال والبهجة كأنهـــا فتاة صـــغيرة . وينتهى المنظر ببطء) .

الفصل الثالث

(بعد ثلاثة شهور .

الدكتور تشامبرز يقف بجوار المدفأة . الدكتور فورد ووترلو يجلس على الأريكة . وهو عجوز جاد القسمات حاد اللسان . كلا الطبيبين يرقب اليزابث باهتمام وهى تمشى بخطى ثابتة وئيدة عبر الحجرة الى النافذة ثم تعود مرة أخرى ــ الكلب فلش يرقد على الأريكة) .

فورد ــ و : مرة أخرى ، لو سمحت .

(اليزابث تمشى عبر الحجرة مرة أخرى) .

أهنئك يا عزيزتى مس باريت . الآن اجلسى .

(تجلس بجانبه ، ويجس نبضها وهو يتكلم) . متى بالضبط ، دعوتنى للاستشارة ، يا دكتور تشامبرز .

تشامبرز : فى مثل هذا اليوم منذ ثلاثة شهور .

فورد ــ و : نعم ، نعم ــ وكانت مريضتك فى أسوأ حال فى ذلك الوقت ــ حسن ، لقد حققت معجزات يا دكتور .

تشامبرز : أوه ، كان دورى مجرد عمل تمهيدى عادى . الأمانة تدعونى الى نسبة الفضل الى سواى .

فورد ـ و : اه ؟

تشامبرز : مس باريت نفسها — لا سواها — كانت السبب الحقيقى فى الشفاء .

اليزابث : لكن يا دكتور ..!

تشامبرز : انى أعنى ما أقول ، يا عزيزتى ، أعنى ما أقول . فمنذ ثلاثة شهور كان يبدو أنك ترغبين فى ترك الحياة والدنيا تفلت من بين أصابعك الجميلة . ثم جاء التحول بطيئا . أوه . صدقينى . كنت أرقبك كالوشق [1] ! أصبحت الحياة والعالم شيئين يستحقان التعلق بهما — الرغبة فى الحياة أجدى من دستة من الأطباء — أغلب ظنى أن صديقى المشهور سيعترف بذلك .

فورد ـ و : الرغبة فى الحياة .. هم ، نعم .. واستطعت أن تخرجى للنزهة من حين لآخر ؟

اليزابث : أوه نعم ، يا دكتور . زرت بعض أصدقائى وقمت بعدة جولات ممتعة فى حديقة هايد بارك بالعربة . والشىء الوحيد الذى يتعبنى هو

(١) الوشق : قط متوحش حاد البصر .

صعود الدرج ونزوله . أكاد أفقد توازنى فى النزول ولا أقدر حتى الآن على الصعود .

فورد ـ و : تماما — بالضبط .

تشامبرز : لحسن الحظ أنك لست فى حاجة الى رجل قوى ليحملك .

اليزابث : أوه — لكن هـذا موضع الخطأ لديك (الى فورد واترلـو) ليس لديك فكرة عن الزيادة المطردة فى وزنى !

فورد ـ و : أحقا هذا ؟

تشامبرز : (بحزن) نعم ، لدرجة انى فكرت جديا فى منعها من تناول البيرة السوداء . وهو المشروب الذى تفرط فى تناوله .

اليزابث : (ضاحكة) انى أعجب يا دكتور تشامبرز كيف لا تخجل من ذكر هذا الموضوع !

تشامبرز : حسن الآن ، بالنسبة للمستقبل — أنا متفق تماما ، يا مس باريت مع الدكتور تشامبرز على ضرورة تجنب شتاء آخر فى لندن ان أمكن . اذا داومت على اكتساب مزيد من القوة كما

تفعلين الآن فلا أجد ما يمنعك من السفر الى الجنوب ربما فى شهر أكتوبر .

آليزابث : (بلهفة لم تستطع السيطرة عليها) : السفر .. الى الجنوب ؟ ..

فورد ـ و : الى الريفييرا ، أو ، من الأوفق الى ايطاليا .

آليزابث : (لاهثة) : ايطاليا .. ! أوه . هل تعنى هـذا حقا يا دكتور .

فورد ـ و : لم لا ؟ تستطيعين السفر الى هناك على مراحل بسيطة . بلغنى أنك تحبين ايطاليا من كل قلبك وانه لا توجد — أى صعوبات عملية فى طريق سفرك اليها .

آليزابث : ان كنت تعنى بذلك — صـعوبة مالية — فلا توجد على الاطلاق . فعندى دخلى البسيط ، و ..

فورد ـ و : تماما ، بالضبط .

تشامبرز : اجترأت على ابلاغ الدكتور فورد واتزلو عن العقبة الحقيقية الوحيدة التى تحول بينك وبين قضاء شتاء فى الخارج ، وهو على استعداد تام لبحث هذا الموضوع معه .

فورد ـ و : بحثا تاما — وفعالا .

اليزابث : (بسرعة) أوه ، يقينى انه لا ضرورة لذلك ! ان أبى قد لا يبدى أى اعتراض . والأمر يتوقف على مزاجه فى ذلك الوقت ، و ..

فورد ـ و : (بامتعاض) هراء ، يا سيدتى الصغيرة ! ليس لمزاجه حساب فى هذا أو ذاك . أهم شىء هو صحة ابنته وسعادتها ، وهو ما أحاول أن أوضحه له تماما .

اليزابث : أوه ، يجب أن لا يعتريك الشك فى أن أبى مثال الشفقة والكرم ، لكن الرجال تنتابهم حالات نفسية .. ايطاليا ، من الصعب التفكير حتى فى مجرد احتمال السفر اليها ! انها أرض الميعاد يا دكتور ، التى لن أفكر فى رؤيتها الا فى الأحلام .

فورد ـ و : (ناهضا) حسن ، حسن دعينا نأمل أن لا يؤدى قيامك بهذه الرحلة الى تحطيم أحلامك ، فايطاليا فى نظرى بلد بولغ فى وصفها . لا شىء فيها سوى أكوام القمامة ، والغبار ، والذباب والروائح الكريهة والمتسولين — وداعا ياعزيزتى

مس باريت — لا ، أرجوك ألا تنهضى (يأخذ يدها) أنا مغتبط بتحسنك . أنا جد مسرور — والآن سأمضى للتحدث مع والدك — الى اللقاء.

اليزابث : الى اللقاء يا دكتور .

تشامبرز : الى اللقاء يا مس اليزابث .

اليزابث : الى اللقاء .

(الطبيبان يخرجان) .

اليزابث تضم خديها بين راحتيها وتهمس : ايطاليا — ايطاليا — ايطاليا — (تحمل الكلب) وأنت أيضا ياقلش ستذهب معنا . سترى روما معا وفلورنسا وڤينيسيا وفيزوف .

(آرابل تدخل . اليزابث تضع الكلب تنهض واقفة) .

آرابل : (تعانق آرابل بحرارة) لم يبقى الا قرار أبى ياعزيزتى ! سأسافر الى ايطاليا . قال انى سأكون قادرة على السفر فى أكتوبر! .. روما ! فلورنسا ! فينيسيا ! فيزوف ! رافائيل ! دانتى ! « سورديللو » ! .. أوه أنا لا أدرى ماذا أقول — طار صوابى من شدة الانفعال !

آرابل : ياله من شىء رائع بالنسبة لك ! أنا فى شدة الفرح ! .. أتظنين أن أبى سيوافق على سفرك ؟

اليزابث : لكنه بالطبع سيوافق ! الطبيبان سيعرضان عليه الأمر بقدر ما يستطيعان من قوة . أوه ان قلبه لن يطاوعه على الرفض حين يعرف مدى أهمية رحلة ايطاليا بالنسبة لى .

آدابل : (غير مقتنعة) لا يا عزيزتى ، لا ..

اليزابث : هل قابلته بعد ظهر اليوم ؟

آدابل : نعم .

اليزابث : (بسرعة) كيف كان حاله ؟

آدابل : (بحماس) : أوه ، مشرقا للغاية ! كان يدعونى « بوس » وهو لا يفعل ذلك اذا لم يكن معتدل المزاج . وحين دخلت « بللا » بعد ذلك كان مرحا حقا .

اليزابث : شكرا لله على ذلك !

آدابل : وبهذه المناسبة يا عزيزتى — لقد أحضرت « بللا » الثوب الذى سترتديه « هنرييتا » كوصيفة شرف . وتريد أن تشاهديه . انهما يجربانه الآن ..

اليزابث : أوه ، بودى أن أراه ! (تشد حبل الجرس) أنا فى أشد الحاجة الى شىء يلهينى عن حيرتى من ترقب قرار أبى ..

آرابل : يخالجنى شعور ما بأنه لم يكن من الحكمة منك كتمان أمر هذه الرحلة الايطالية عن أبى ، ثم مفاجأته بها .

اليزابث : نعم ، أعرف ذلك ، لكن ..

(طرق على الباب) .

أدخل .

(تدخل ويلسون) .

أرجو أن تخبرى مس « هيدلى » ومس هنرييتا أنه يسعدنى أن آراهما الآن .

ويلسون : سمعا يا سيدتى .

اليزابث : أوه ، وأخرجى فلش . انه يشور حين يرى أشخاصا عديدين فى الحجرة .

(تدخل ويلسون وتحمل فلش وتخرج به)

الدكتور تشامبرز بنفسه هو الذى نصحنى ألا أخبر أبى بشىء حتى يقتنع كلا الطبيبين بأنى قادرة تماما على السفر ووافقته على فكرته فى ذلك الوقت . لكنى الآن — أوه يا آرابل ، لست واثقة تماما ! انى جد خائفة ان أبى قد يظن ..

(أصوات وضحكات فى الخارج) .

لا تذكرى لهما شيئا عن هذا ..

(آرابل تومىء برأسها) .

بللا : (فى الخارج) : أتسمحين لنا بالدخول ؟

اليزابث : (وهى تنهض) : أدخلى يا عزيزتى .

(بللا تدخل متهللة تتبعها هنرييتا خجولة لكنها متألقة فى ثوب وصيفة الشرف) .

عزيزتى بللا .

بللا : (تعانق اليزابث) : حبيبتى ، حبيبتى ! أوه — يجب ألا تنهضى لاستقبال صغيرة مثلى .

آرابل : (تتأمل هنرييتا) : كم هى جميلة حقا !

اليزابث : رائعة !

بللا : نعم ، أليست كذلك ! انها رائعة بالفعل . ستكون هنرييتا العزيزة أجمل وصيفات الشرف . وأخشى أن تجذب جميع الأنظار عن العروس الصغيرة ، أنظار الرجال على أى حال !.. لكن يا عزيزتى « با » يجب ألا تقفى هكذا .

(تقودها الى الأريكة) .

اليزابث : لكن باستطاعتى الآن أن أقف كأى شخص .

بللا : (بينما اليزابث تنقاد اليها وتستلقى على

الأريكة) : لا ، ، لا .. يكفى أن يطالع المرء وجهك الحبيب بما فيه من شفافية ونورانية ليعرف مدى قربك من الله . ان نظراتك ياحبيبتى تبدو كأنها شاهدت الملائكة .

هنرييتا : انها تنظر الى يا بللا — وأنا لست ملاكا !

بللا : لا . أخشى الا تكونى كذلك .. لكنك جميلة جدا جدا . وتصورى يا با انى اذا لم أكن قد تحدثت بنفسى مع الخال ادوارد لكان من المستحيل أن تصبح وصيفة شرف لى .

اليزابث : نعم ، يا عزيزتى انك بكل تأكيد تنالين ما تريدين .

هنرييتا : تحدثت مع أبى ! احب ذلك ! بالطبع ، جلست على ركبتيه وربت على شواربه .

آرابل : (مؤنبة) هنرييتا ! عزيزتى !

(اليزابث تضحك) .

بللا : ولم لا . اليس هو خالى ؟ .. علاوة على أنه رائع للغاية ! انى أعجب بالنوع الجاد العبوس من الرجال . أن مداعبتهم ، والسيطرة عليهم أمر مثير للغاية وسهل — لو عرفت السبيل اليه !

وأظن حقا أنى أعرفه .. لكن مالا أستطيع فهمه هو موقفه الغريب من الحب والزواج ، وكل ما يتعلق بهما . يخيل الى أنه بصورة ما — عدو — عدو — اوه ، ما هى هـــذه الكلمة المخيفة ؟

اليزابث : عدو المرأة ؟

بللا : نعم ، و —

هنرييتا : حسن . يجب أن أصفه كزعيم لأعداء المرأة !

بللا : انا متأكدة انه ليس كذلك .

هنرييتا : كيف عرفت ؟

بللا : لا تشغلى بالك بهذا الموضـــوع ولكنى أعلم بالتأكيد ؟ .. وفوق ذلك ألم يتزوج هو نفسه وأكثر من هذا أليس عنده احد عشر طفلا ؟

(سكون يبعث على الضيق) .

اوه ،هل قلت شيئا — شيئا فظيعا جدا ؟

آرابل : لا ، يا عزيزتى — ولكن ، ربما كان شيئا غير لطيف . حين يهبنا الله أطفالا فليس من حقنا أن نسأل كيف ولم ..

بللا : آسفة ما قصدت الحط من قدره .. لكنى ارى ان حالة خالى ادوارد شاذة بالتأكيد — ولا

طائل منها ! فبالرغم من ذلك — فان بيته يمتلىء بقصص الحب الخيالية التى تجرى تحت أنفه ولا يدرى عنها شيئا !

آرابل : بللا !

هنرييتا : (بحدة) ماذا تعنين بهذا ؟

بللا : يجب أن تعرفى هذا يا عزيزتى .

هنرييتا : أنا ؟

بللا : (بحماس) : أظن أن كابتن سورتيز كوك جذاب للغاية . ان الطريقة التى ينظر بها اليك ، يا عزيزتى — وينظر — وينظر ويطيل النظر ! لو حدث أن نظر الى بهذه الطريقة لارتعدت فرائصى لدرجة أعجز عندها عن الوقوف ولسرت فى ظهرى أجمل رعشة .

آرابل : حقا ، يا بللا !

هنرييتا : (فى غيظ وارتباك) : لم اصادف أحدا قط أقدر منك على تحميل جملتين اثنين كل هذا الهراء .

بللا : الم تصادفى مثلى ، يا حبيبتى ؟ .. ثم هناك جورج ! قد لا تصدقين قولى لكنى متأكدة كل التأكد انه متفاهم مع ابنة عمك ليزى تفاهما

رائعا .. وتريدين أقناعى أن شارل ومس — ايا كان اسمها — ليسا سوى مجرد صديقين ؟ أما عن أوكى البائس فلا مانع أن اطلعك على سر ، ان حبيبى العزيز هارى يغار منه غيرة شـــديدة ..

آرابل : مستر بيفان يغار من أوكى . لكن لماذا ؟

بللا : لماذا حقا ؟ اليس الرجال حمقى ؟

اليزابث : (ضاحكة) يالك من طفلة غريبة يا بللا !

بللا : اوه ، لست الا مخلوقا صغيرا دقيق الملاحظة ! فمثلا ، بالرغم من أنك لم تذكرى اســمه الا نادرا ، فأنا أعرف أن مســتر روبرت براوننج يأتى لزيارتك مرة على الأقل كل أسبوع وأحيانا يرسل اليك زهورا وكثيرا ما يحضر معه كعكا لفلش العزيز .. فلش ! اوه الا يكون شـيئا ممتعا لو استطاع فلش أن يتكلم !

آرابل : يا الهى ، لماذا ؟

اليزابث : (ببرود) لكنه لا يكون أكثر امتاعا من صمت بللا فى بعض الأحيان .

بللا : حسن ، يا حبيبتى ! اعرف انى فتاة صـغيرة

ثرثارة بشكل فظيع — لكنك لا تلقين بالا الى تهكمى اليس كذلك ؟

اليزابث : كلا ، على الاطلاق .

بللا : (الى آرابل) : تعرفين أن فلش العزيز هو الشاهد الوحيد على كل ما يجرى فى المقابلة الأسبوعية بين با وأجمل شاعر فى انجلترا . وهو — اعنى فلش — لابد أنه يعرف الكثير عن الشعر الآن ! لانه حين يلتقى شاعران فانهما يتحدثان عن الايقاع طول الوقت . أليس كذلك ؟ .. انى جاهلة الى حد كبير .

اليزابث : اوه ، لا ، يا عزيزتى . بالعكس انك عالمة الى حد كبير .

بللا : أنا ؟

هنرييتا : أرجوك لا تذكرى شيئا من هذا الهراء أمام أبى .

بللا : هراء ! أهو كذلك ؟ حسن . لى رأى بسيط فى ذلك الموضوع ! .. لكنى بالطبع لن أبوح بشىء من هذا لخالى . فانا أؤيد الحب ، وطريق الحب الصحيح ، وكل ما ..

آرابل : (بحزن) بللا . يؤسفنى أن أقول ذلك ، لكن

أرى أنك واحـدة من الفتيات القلائل اللائى أعرف أنهن كن يفدن كثيرا من طريقة أبى فى التربية .

(اليزابث وهنريتا يضحكان) .

بللا : أوه .. يالها من فكرة رائعة ! كان حازما عـلى الدوام لدرجة فظيعة . ألم يكن كذلك ؟ أكان يضربك بالسوط حينما تكونين شقية ؟ كم هو مثير أن ينال أحد علقة بالسوط من الخـال ادوارد !

(طرق على الباب . الأخوات باريت ينتبهن على الفور) .

اليزابث : أدخل .

(يدخل باريت . بللا تهب واقفـة وهى تصرخ صرخة قصيرة وتجرى نحوه) .

بللا : أوه ، خالى ادوارد !

(تمد يدها تحت ذراعه وتسكن اليه) .

خالى العزيز لو كنت ابنتك الصغيرة أكنت تقسو على كثيرا ؟ .. انك لن تكون ، أليس كذلك ؟ أو تكون ؟

باريت : كنت — لا تكون — تكون — كنت ؟ هـل تحاولين استدراجى الى لغز سخيف ؟

بللا : (تشده الى داخل الحجرة) : لا ، لا ، لا . اجلس .

(تدفعه فى المقعد وتجلس على ركبتـه) ـ كل ما فى الأمر ـ لكن لماذا تقطب وجهك فى عبـوس هـكذا يا خالى العزيز (تمر بأصابعها بخفة على جبينه) كل شىء قـيد تلاشى . آرابل تقول أنك لو تعهدتنى لكان خيرا لى تمـاما ، انها ترى أنى فتاة مدللة طائشة و ـ

آرابل : لم أتفوه بمثل هذا الكلام على الاطلاق .

بللا : أعرف أنك لم تقـولى ذلك ، لكنكما قلتما (تشير الى هنرييتا واليزابث) أنت قلت وأنت قلت .. ولكنك لا تقول يا خالى ، أليس كذلك ؟

آرابل : فى الحق ، بللا ..

باريت : (يخاطب بللا لكنه يوجه الحديث الى الآخرين) لو كان أطفالى فى جمالك وانطلاقك وحنـانك لكنت أسعد حالا مما أنا الآن .

بللا : لا يجب أن تصرح بمثل هذا الكلام ، والا حقدن علىّ .. !

باريت : (يضمها اليه ويبدو كأن الاثنان قد انسحبا عن الباقين ونسيا وجودهن) : انك مخلوقة صغيرة مليحة بدرجة مذهلة ..

بللا : وهل فى هذا عيب ؟

باريت : لم أقل ذلك ..

بللا : اذن لماذا تنظر الى بوحشية هكذا . أتريد أن تلتهمنى ؟

باريت : ما هذا العطر الجميل الذى تتعطرين به ؟

بللا : عطر ؟ أنا ؟ (تقهقه وتقترب منه فى دلال) ألا تحبه ؟

باريت : انى أكره العطور بوجه عام . لكن عطرك يختلف عنها .

بللا : لطيف ؟

باريت : رقيق . جميل للغاية ومع ذلك أفضل ألا تستعمليه .

بللا : لماذا ؟

باريت : لا داعى (يضرب فخذها بلطف ولكن بصوت مسموع) .

بللا : أوه هذا مؤلم !

باريت : هراء .

بللا : (بانتصار) : لكنى لم أستعمل عطرا على الاطلاق . ليس على أى قطرة منه . أرى أنه

شيء مخيف وشائع (وتحيط رقبته بذراعيها)
أوه يا خالى العزيز ! لقد وصفتنى بأنى جميلة
ومنطلقة وحنون ومليحة بدرجة مذهلة وعاطرة
كل هذا فى دقائق قليلة . يمكنك أن تقبلنى !

(باريت يقبل فمها مرتين بطريقة جافة
تجعلها ترسل صرخة قصيرة . ثم يبعدها
عن ركبتيه فجأة وينهض . ويبدو عليها
بعض الخوف) .

باريت : (بغلظة) هيا ، هيا ، أيتها الطفلة ، انطلقى بعيدا
الآن . أريد التحدث مع با (الى الآخرين)
يمكنكما أيضا أن تنصرفا (يمضى الى النافذة
وينظر منها وظهره الى الحجرة) .

بللا (بصوت مخنوق نوعا) : الى اللقاء يا خالى .

باريت (دون أن يلتفت) : الى اللقاء .

بللا : الى اللقاء يا با .

تومىء برأسها وتخرج .

اليزابث : الى اللقاء .

باريت : (دون أن يلتفت) : متى سيكون الزفاف ؟

اليزابث : الزفاف ؟ أوه ، زفاف بللا .. فى السابع
والعشرين ..

باريت (يلتفت ويحدثها وكأنه يحدث نفسه) : حسن، أقل من أسبوعين .. ليس من المحتمل أن نراها كثيرا حتى ذلك الوقت . وبعد ذلك — ستعيش فى الريف معظم السنة

اليزابث : لكن يا أبى ، ظننت أنك مغرم بها جدا .

باريت (بحدة) : مغرم بها ؟ لم لا ؟ أليست هى ابنة أختى ؟ .. لكنها مصدر ازعاج فى البيت . ان أنظار اخوتك كانت متعلقة بها الى حد كبير وخاصة أوكتافيوس .. اف ! ما زال أثرها باديا فى جو الغرفة ! سأكون مسرورا حين ترحل .. لكن لا أريد التحدث عن بللا . لقد تركنى أطباؤك على التو .

اليزابث (فى ترقب) : نعم يا أبى .. ؟

باريت (بحرارة مصطنعة) : ان تقريرهما ممتاز ، مدهش . أنا راض كل الرضا . أنا مسرور .. بالطبع يا طفلتى المسكينة . ليس من المحتمل أن تصبحى امرأة عادية . حتى تشامبرز ، ذاك الأبله المتفائل — كان مضطرا الى الاعتراف

بذلك .. على فكرة . من يكون الدكتور فورد واترلو ؟

اليزابث : قيل لى أنه من أمهر الاطباء فى لندن .

باريت : حقا ؟ .. حسن ، انه يحتاج الى صفات مدهشة ليعادل بها سلوكه . الممقوت . لكن حتى هذه الظاهرة الطيبة لا يمكن ان تفسر هذا التحسن المفاجىء فى صحتك . انه يعزو هذا التحسن الى خدمات تشامبرز — التى هى بالطبع هراء محقق .

اليزابث : من المحتمل أنه الطقس الرائع الذى ساد اخيرا كان له فضل كبير فى هذا التحسن . ان صحتى دائما تتقدم فى الدفء وضوء الشمس .

باريت : هراء . الصيف الماضى كان مرهقا ، ولم تكن حالتك أسوأ مما كانت عليه فى ذلك الوقت . لا ، فى رأيى أن هناك واحدا فقط هو الذى يجب أن يوجه اليه الشكر — بالرغم من أن هذا الطبيب ، ايا كان اسمه ، كان يسره أن يسخر حين اذكر — أن ..

اليزابث : ومن هو ؟

باريت : أعنى الله القـادر .. يدهشنى يا اليزابث ، ان تنسبى معجزة الشفاء التى تحققت لك الى أحد فى الأرض . ألم أسجد هنا ليلة وراء ليلة أبتهل الى الله الحنون أن يرعى ابنته برحمته ؟ .. هذا ما يدهشنى ويحزننى الى حد لا يمكن التعبير عنه . هذا كل ما يمكن أن أقول الآن (يتجـه ناحية الباب) .

اليزابث : أبى .

باريت : حسن ؟

اليزابث : الم يحدثك الدكتور فورد واترلو عن — عن الشتاء القادم .

باريت : الدكتور فورد ووترلو قال ، اذا جاز لى أن أقول ذلك ، هراء كثيرا (يهم بالانصراف) .

اليزابث : لكن يا — ابى —

باريت : (بشراسة) ماذا ؟

اليزابث : ألم يذكر لك أن علىّ أن أتجنب شتاء ثانيـا فى انجلترا ؟

باريت : حسن ؟

اليزابث : وأنى سأكون قادرة على السفر الى ايطاليا فى أكتوبر ، ان أنت ..

باريت : وهكذا وضح الأمر فى النهاية ، وهل تسمحين لى أن أسأل منذ متى كانت تحاك هذه المؤامرة الفذة ؟

اليزابث : منذ عدة أسابيع . أشار الدكتور تشامبرز الى ايطاليا لأول مرة كاحتمال حقيقى .

باريت : عجبا . وهل يعرف اخوتك شيئا عن هذا المشروع الجميل ؟

اليزابث : اعتقد أنى ذكرته لهم .

باريت : تعتقدين أنك ذكرتيه لهم .. ومستر كنيون ومستر هورن وآل هيدلى وهذا الدعى براوننج — وباختصار جميع أصدقائك وأقاربك — بحثت خططك معهم جميعا . على ما اظن ؟

اليزابث : اوه ، يا أبى ، وماذا يهم ؟ كان السبب الوحيد الذى حدا بى الى ذلك —

باريت : يهم ؟ الأمر فى غاية البساطة ! انه لا يهم على الاطلاق أن يظل سر ابنتى المفضلة مخافيا على —

وأن أعامل كشخص لا قيمة له — يتجاهل ويهان —

اليزابث : يهان ؟

باريت : أعظم اهانة حين يقذفنى ذلك الشخص ، فورد واترلو ، بلغمك الذى جهز بعناية . وبطبيعة الحال عبرت عن دهشتى واستيائى ، فتهجم على هجوما بالغا و ..

اليزابث : صدقنى ، يا أبى ، ان السبب الوحيد الذى حدا بى الى عدم ازعاجك من قبل بفكرة ايطاليا هذه هو ..

باريت : الخوف من أن أقضى على هذه الفكرة فى مهدها بالضبط . فهمت تماما .

اليزابث : لكن —

باريت : لا . أتوسل اليك أن توفرى تفسيراتك واعتذاراتك . ان هذا الموضوع الحقير واضح كل الوضوح . لقد حز فى قلبى أن تجرؤى — وأنت الفتاة الوحيدة بين أولادى التى أثق فيها كل الثقة — على مثل هذا السلوك الخبيث .

اليزابث : لا — لا —

باريت : اذا كانت عودة الصحة لابد أن تجلب معها مثل هذا التغير المحزن فى السلوك فسأكون مضطرا الى الرغبة فى أن ترقدى عاجزة على الأريكة مرة أخرى — لا يوجد ما يقال أكثر من ذلك

(يتجه نحو الباب)

اليزابث (بغيظ مكبوت) : بل يوجد ما يقال أكثر من ذلك ويجب أن أتوسل اليك يا أبى أن تنصت الى . كم سنة قضيتها راقدة هنا ؟ خمسة ، ستة ؟ من العسير أن تتذكر — لان كل سنة كانت تعدل عشرا ، وكنت طوال تلك السنوات لا أجد شيئا أتطلع اليه وأتمناه سوى الموت

باريت : الموت .. ؟

اليزابث : نعم ، الموت . لقد ولدت وبى طاقة كبيرة للسعادة — أنت تذكر وأنا صبية صغيرة . وحين منحتنى الحياة القليل من السعادة والكثير من الآلم ، كنت غالبا ما اتلهف الى النهاية و ..

باريت : (بحنق) : اليزابث ! يروعنى أنك ..

اليزابث : (بسرعة) والآن حدثت هذه المعجزة ! وأصبحت يوما بعد يوم قادرة على الاستمتاع بمباهج

الحياة كأى انسان له الحق فيها — وقادرة على مقابلة أصدقائى ، وتنسم الهواء الطلق والاحساس بالشمس والتطلع الى الحشائش والزهور وهى تنمو تحت قبة السماء .. وحين تحدث الدكتور تشامبرز معى عن ايطاليا لأول مرة اقترحت عليه هذه الفكرة — وكانت تبدو غريبة مستحيلة ! لكنى حين ازددت قوة هبطت على الفكرة كوحى سماوى ، ان ايطاليا ليست مستحيلة على الاطلاق ، وانه ليس ثمة عقبات حقيقية تقف فى طريقى وأن لى كل الحق فى السفر ..

باريت : حق ؟

اليزابث : نعم ! كل الحق — لو استطعت الحصول على موافقتك ، لذلك بدأت فى استشارة أصدقائى، ومواجهة جميع العقبات. ودراسة كافةالتفاصيل، حتى تتكون لدى فكرة كاملة الترتيب لاعرضها عليك بعد أن يدلى لك الأطباء بأرائهم الخاصة. وقد أكون فى لهفتى قد تصرفت بحماقة وبخطأ وبلا روية . لكن وصفك لسلوكى بأنه خبيث

— ومخادع وصف ينطوى على الكثير من القسوة، والظلم والجفاء .

باريت : (فى حزن يفوق الغضب) انك أنانية ! أنانية ! لا تفكرين ، لا اعتبار لأى شخص سوى نفسك ، أو لأى شىء سوى متعتك .

اليزابث (بانفعال) : لكن يا أبى —

باريت (مشيرا اليها بالسكوت) : لم يحدث أن فكرت ولو مرة أن والدك سيبقى هنا بمفرده وحيدا خلال تلك الشهور الطويلة الحالكة التى تقترحين الترويح فيها عن نفسك فى ايطاليا .

اليزابث : بمفردك ؟

باريت : بمفردى وحيدا .. فاخوتك وأخواتك لن يكونوا فى وجودهم بجانبى سوى ظلال . وأنت أوه ، يا طفلتى لا تظنى أنى لم أنتبه الى أنك — أيضا — وقد أصبحت الآن أقوى مما كنت ولم تعودى تعتمدين على اعتمادا كليا — تنسحبين ببطء بعيدا عن والدك ..

اليزابث : هذا ليس صحيحا !

باريت : بل هذا صحيح — وتعرفين من قلبك أنه صحيح .

اليزابث : لا !

باريت : حياة جديدة ، مصالح جديدة ، مباهج جديدة ، أصدقاء جدد — وشيئا فشيئا أدفع أنا الى مؤخرة الصورة — أنا الذى اعتاد أن يكون كل عالمك ، أنا الذى يحبك ، الذى يحبك —

اليزابث : لكن يا أبى —

باريت : (مشيرا اليها بالسكوت) لا . لا يوجد ما يقال أكثر من ذلك (يعبر الحجرة الى النافذة ينظر منها ، ثم يلتفت اليها) تريدين موافقتى على هذه — النزهة الايطالية : لن أمنحها ولن أمنعها . لأن منحها قد يكون مخالفا لضميرى باعتباره تشجيعا للأنانية والمتعة الذاتية . ومنعها قد يكون اشارة لا قيمة لها ، أنت سيدة نفسك حتى ولو رفضت دفع تكاليف رحلتك فلديك وسائلك الكثيرة لتنفيذ رغباتك . أنت حرة تفعلين ما تشائين .. وان سافرت ، فأرجو أن تخصى والدك بفكرك أحيانا .. اذكريه وهو يتسلل الى الحجرة التى كانت تحمل يوما ما كل حبه . اذكريه وهو يركع بمفرده بجانب الأريكة

الخالية مبتهلا الى الراعى الصـــالح أن ـــ

(طرق على الباب) .

أه .. ؟

اليزابث : (فى دهشة . تضع يدها على قلبها) : اوه ..

جاريت : (بغم) من الطارق ؟ ادخل .

(ويلسون تدخل) .

ويلسون : من فضلك . مستر براوننج حضر الآن .

جاريت : (بصوت خافت) هذا الشخص مرة أخرى ..

ويلسون : أوصلت مستر براوننج الى الصالون حين ألفيتك مشغولة يا سيدتى .

اليزابث : أبى ، أترغب فى مقابلة مستر براوننج ؟

جاريت : لا بكل تأكيـــد . كنت أظـــن أنك تعرفين أنى لا أفرض نفسى على أى صديق من أصدقاء أولادى (الى ويلسون) يمكنك أن تسمحى لمستر براوننج بالحضور .

ويلسون : حسن جدا يا سيدى .

(تخرج) .

جاريت : يبدو أن مستر براوننج يعتبر هذا البيت بيته الثـــانى .

اليزابث : لم أقابله منذ يوم الأربعاء الماضي .

بازيت : حقـا .

(يخرج) .

(اليزابث تجلس ساكنة . تتنفس بسرعة . عيناها مثبتتان على الباب . تدخل ويلسون) .

ويلسون : مستر براونتج .

(ويلسون تخرج) .

براونتج (يتناول كلتا يديها) : أوه ، لكن ما أروع هذا ! هذه المرة الرابعة التي تستقبلينني فيها واقفة !

اليزابث (حالها قد تغير ، كلها تألق وحياة) لو استقبلتك جالسة على الأريكة مرة أخرى فلك أن تفسره بأنه سلوك غير مهذب ولا شيء سواه !

براونتج : سأفسره كذلك من كل قلبي ، سأفسره كذلك ! والآن خبريني بسرعة . كنت أرتعد قلقا طول اليوم . هل قابلتهم ؟ ماذا يقولون ؟

اليزابث : خرج دكتور فورد واترلو عن طبعه الجاف من فرط سروره بتقدم صحتي .

براونتج (بفرحة) : قولي ذلك ثانية !

اليزابث : أوه ، أمن الضروري ؟ كل الجملة ؟

براوننج : أود أن أراها فى حروف من نار تسطع أمامى من كل جدار من هذه الجدران الأربعة ! هذه هى أحسن لحظة عشتها منذ حصلت منك على الاذن بزيارتك ! منذ كم سنة كان ذلك . ؟

اليزابث : ثلاثة شهور .

براوننج : هذا محال . كنا دواما أصدقاء . عرفتك عمرا كاملا وأكثر ! اذن فقد خرج عن طبعه الجاف من فرط سروره . أليس كذلك ؟ هذا رائع ، بالطبع . لم يساورنى الشك مرة فى أنك يوما ما ستشفين تماما . ليس العالم غنيا الى درجة تسمح بتبديد حياة كحياتك ! لكن مع ذلك كنت ضعيف الأمل فى أن يتم شفاؤك بهذه السرعة . وايطاليا ؟ هل اتفق الطبيبان على أن تقضى الشتاء هناك ؟

اليزابث : (وفى صوتها ما يدل على التحفظ) نعم .

براوننج : ومتى يظنان انك ستكونين قادرة على السفر ؟

اليزابث : فى منتصف أكتوبر — مالم تحدث نكسة .

براوننج : نكسة . لا وجود لمثل هذه الكلمة ! أكتوبر ! عجبا فأنت تعرفين ، أكتوبر موعد تحقيق مشروعاتى .

اليزابث : مشروعاتك ؟

براوننج : ألا تذكرين ما قلته لك عن اقتراحى قضاء شتاء فى ايطاليا؟ حسن، أنا عازم الآن كل العزم — فى الواقع أنى قورت اعادة صياغة «سورديللو» ولا يمكن انجاز هذه المهمة بصورة مرضية فى انجلترا . من المستحيل تصور الطقس الايطالى فى أرض المطر والضباب ! هل تسمحين لى بزيارتك كثيرا فى ايطاليا ؟ أين تنوين الاقامة ؟

(اليزابث تضحك) .

لماذا تضحكين ؟

اليزابث : أخشى ، حين تزورنى فى ايطاليا أن تكون فى حاجة الى حذاء طوله ثلاثة أميال .

براوننج : ماذا تعنين ؟

اليزابث : سأكون فى الشتاء القادم فى ٥٠ شارع ويمبول .

براوننج : هنا ؟

اليزابث : نعم .

براوننج : لكن ألم تخبرينى أن كلا الطبيبين ..

اليزابث : قد يقترح الطبيبان ، لكن القرار يستقر — فى مكان آخر .

براوننج : والدك ؟

اليزابث : نعم

براوننج : هل ... هل عارض المشروع ؟

اليزابث : لا ليس تماما ، لكنني على يقين أنه — أنه سيكون من المستحيل على أن أسافر .

براوننج : لكن — ألم يوضح له الطبيبان أن رحلتك هذه قد تكون الحد الفاصل بين — الحياة والموت..

اليزابث : اعتقد أن الدكتور فورد واترلو تكلم بكل قوة .

براوننج : آدن ، بحق السماء ..

اليزابث (بسرعة وانفعال) : من العسير جدا أن أشرح لمن لا يعرف جميع الظروف ... أتعرف أن ابي متعلق بي . و ..

براوننج : متعلق بك ؟

اليزابث : متعلق بى لدرجة كبيرة — ويعتمد على صحبتي اعتمادا كبيرا . انه لا يتفق مع اخوتى وأخواتي فى كثير من الأمور ، فاذا سافرت بعيدا لمدة ستة شهور فانه ..

براوننج (يتنحنح جماح نفسه بدرجة منظورة ومسموعة): — اتسمحين لى ، يا مس باريت أن أتحدث بصراحة ؟

اليزابث : (بانفعال) : أوه ، أتظن أنه من الأوفق أن تفعل ذلك ؟ أعرف على وجه التقريب شعورك بالنسبة لهذا . لكنك لا تدرك الموقف تمام الادراك وأنى لك أن تدركه ؟

براوننج : حسن جدا اذن فلن أقول شيئا .. (سيطرته تنهار فجأة : كلماته تنطلق كالسيل الجارف) تقولين أنى لا أدرك . أنت على حق . أنا لا أدرك . تقولين أنه متعلق بك .. أنا لا أدرك تعلقا يطالب بافضال كأنها حقوق ، ويطلب واجبا واحتراما وطاعة وحبا ويطلب كل شيء ويأخذ كل شيء ولا يعطى فى مقابله شيئا — لا أدرك تعلقا يضيع نفسه فى استبداد حقير وعتو كبير — لا أدرك تعلقا يضن عليك بشعاع من الضوء أو ومضة من السعادة ، ولا يقف حتى عند حد المجازفة بحياتك لارضاء أنانيته الضخمة ! تعلق ! امنحينى مقتا طيبا حكيما أمينا خير من تعلق كهذا !

اليزابث : مستر براوننج — يجب أن أسألك ..

براوننج : معذرة — لكن لا أريد السكون أكثر من ذلك ! كنت أعلم حتى قبل مقابلتك أن هذا المرض لم يكن الظل الوحيد الذى يخيم على حياتك — وكنت طوال هذه الشهور أشعر أن ذلك الظل يزداد عمقا — رغم أنك لم تنفسى عن نفسك بكلمة شكوى — كنت أقف جانبا وأرى ولا أقول شيئا . ومن أكون أنا لأقحم نفسى بينك وبين الرجل الذى اختارته الطبيعة — كدعاية سمجة — أبالك ؟ مجرد صديق ! كنت أجدك متعبة ومريضة بعد مناظر بغيضة كنت أتخيلها بوضوح — وكان يجب أن أتظاهر بأنى لا أعرف شيئا ، ولا أرى شيئا ولا أحس شيئا ، لقد ضقت بهذا التظاهر يوما بعد يوم ! وأرفض بعد الآن أن أرغم نفسى على السكوت أو الوقوف مكتوف اليدين ! ليست راحتك وسعادتك هما المعرضتان للخطر فحسب — انها حياتك . وأنا أمتعك من المغامرة بحياتك . ولى الحق أن أمنعك .

اليزابث : (فى يأس) : لا — لا — لا — أوه ، أرجوك .. لا تقل أكثر من ذلك !

براوننج : (فى حماس يجبر على الاذعان) الحق. ولاسبيل لك لانكاره. أنك أمينة وصادقة للغاية. فى أول مقابلة لنا لم تسمحى لى بالحديث عن الحب — ولم تقبلى أى شىء بيننا سوى الصداقة. وامتثلت لأمرك.. لكنى كنت أعلم جيدا — كلانا كان يعلم — انى كنت أكثر من مجرد صديق لك.. لقد أحببتك حتى قبل أن أخطو عتبة هذا الباب وقبل أن تلتقى عيناانا عبر هذه الحجرة — وأحبك الآن أكثر مما تستطيع أن تعبر عنه الكلمات — وسأحبك الى النهاية والى أبعد منها. أنت تعرفين ذلك ؟ وكنت تعرفين ذلك دائما.

اليزابث (بأسى) : نعم — نعم كنت أعلم ذلك دائما.. والآن أرجوك — أرجوك، أن ترحمنى، ترحمنى وتتركنى

براوننج (يمسك يديها) : لا.

اليزابث : أوه أرجوك.. أرجوك .. دعنى وشأنى. اتركنى يجب ألا نلتقى مرة أخرى.

براوننج : لن أتخلى عنك .. لن أتركك أبدا (يضمها بين ذراعيه) اليزابث.. اليزابث ..

اليزابث : (تقاوم فى ضعف بين أحضانه) لا ! — لا . أوه ، كن رحيما بى يا روبرت .

براوننج : اليزابث حبيبتى . (يقبلها ، وحين تلمس شفتيه تطوق رقبته بذراعيها) .

اليزابث : أوه روبرت . أحبك — أحبك — أحبك ..

(يتبادلان قبلة ثانية ثم ترتمى على الكرسى ويركع بجانبها ويمسك يديها) .

براوننج : ومع ذلك تطلبين منى أن أتلقى أوامر الرحيل وأخرج من حياتك ؟

اليزابث : نعم يا روبرت ، فماذا أملك لأقدمه لك ؟ لا أملك سوى القليل مما يطلبه الحب .. ليس لدى جمال ، ولا صحة ، ولم أعد صغيرة السن ..

براوننج : أجبك .

اليزابث : (بعاطفة روحانية مكبوتة) : كان يجب أن أرفض مقابلتك بعد لقائنا الأول . لقد أحببتك حينذاك ، وكان يجب أن أنكره — حتى على نفسى .. أوه ، يا روبرت أظن أن حواء قد أحست نفس احساسى حين طلع فجرها الأول على الفردوس بما فيه من رهبة وروعة وجلال ! لم أكن أملك أى قوة تعينى على أى نوع من

المقاومة سوى التظاهر بمجرد الصداقة . كنت عاجزة ، كنت مشلولة بالسعادة التى لم أكن أحلم أنه من الممكن أن أحس بها . . ذلك هو عذرى الوحيد — ويعلم الله انى بحاجة الى انسان — وهذا هو السبب فى انى لم أبعدك عنى على الفور .

براونتج : أجبك ؟

اليزابث : بلغت حياتى أدنى درجات التأخر . كنت منهوكة القوى واختفى كل أمل من حياتى ثم جئت . . أتعلم يا روبرت ماذا فعلت من أجلى ؟ كان بوسعى أن أضحك حين قال الدكتور تشامبرز انى شفيت تمنيت برغبتى فى الحياة — كان على حق ، أو هو كان على حق ، لكنه كان يعرف القليل عما يختفى وراء كلماته ! أردت أن أعيش — بلهفة ويأس وعاطفة — وذلك لأن الحياة لم تكن تعنى الا سواك — تعنى رؤية وجهك ، ونبرات صوتك ولمسة يدك . أوه ، وأكثر من ذلك ! لأن الهواء أصبح بك منعشا مرة أخرى . وغدت الدنيا كلها جميلة خضراء مرة أخرى .

براونتج : (يقبل يدها) : وبتلك الكلمات التى تتردد حلوة فى مسمعى ، أأولى الأدبار وأنصرف ؟

اليزابث : لكن يا روبرت ، ألا يمكنك — ألا يمكنك أن ترى أنه من المستحيل ..

براونتج : لم أتخل مطلقا عن صديق أو عدو فهل يمكن أن أتخلى عنك ؟

اليزابث : لكن كيف ينتهى هذا كله ؟ الى أى أمل نتطلع ؟ وكيف ..

براونتج : أحبك — وأريدك زوجة لى

اليزابث : روبرت ، لا أستطيع الزواج . كيف أستطيع وأنا ..

براونتج : ليس اليوم أو غدا . ليس هذا العام وربما ليس فى العام المقبل ، وربما ليس لعدة سنوات مقبلة ..

اليزابث : قد لا أكون قادرة على الزواج منك على الاطلاق .

براونتج : ماذا اذن ؟ اذا بقيت بعيدة المنال حتى النهاية فسأموت فخورا وسعيدا لأنى أنفقت حياتى مناضلا للفوز بأغلى هدية قدمت لأى رجل .

اليزابث : لا — لا ! أوه ، روبرت ، دعك من الأحلام التى تراودك عنى — وانظر الى حقيقتى . أنا أحبك لدرجة لا أسمح لك بضياع رجولتك هباء في تعقب شبح امرأة باهت .

براوننج : أتظنين انى صبى مدفوع بنزواته ، أو خيالم خيالى لا يبصر الحقيقة ؟ ليس هناك رجل يرى الأشياء على حقيقتها بعينين جليتين كما أراها . ولا قدمين راسختين فوق الأرض أقوى من قدمى . وأصارحك ، بكل رزانة ، ان حاجتى اليك ملحة كحاجتك الى واذا سأل ضعفك قوتى العون ، فان قوتى الزائدة تنادى ضعفك ليكمل حياتى ونفسى .

اليزابث : (بعد فترة سكون) : روبرت ، هل فكرت فيما سيكون عليه موقفك هنا اذا داومت على زيارتى بعد اليوم ؟

براوننج : نعم .

اليزابث : (بسرعة) : يجب أن نحتفظ بحبنا سرا عن أى انسان خوفا من أن تصل همسة عنه الى سمع والدى .

براونتج : أنا فاهم .

اليزابث : اذا ساورك أقل شك فى أنك أكثر من صديق فسيغلق الباب فى وجهك وستكون خطاباتى موضع رقابة وتصبح حياتى لا تطاق .

براونتج : أنا فاهم .

اليزابث : وأنت يا عزيزى — صريح وواضح كالنهار — كيف يطيب لك الحضور الى هنا فى ظل مظاهر زائفة ، وما قد تضطر اليه من حيل وخدع ودسائس ؟

براونتج : (بضحكة متهللة) : سأمقتها ، سأبغضها من كل قلبى ونفسى . وأشكر الله على ذلك . ومن أجلك يحق لى أن أتحمل بعض المتاعب . ان زهور جرلندة الخالدة لا تنالها بلا غبار وهجير !

اليزابث : (بحسرة) : الخالدة ! أوه يا روبرت . انها تذبل ، ان لم تكن قد ذبلت ! (يوشك أن يعترض) لا ، لا تتكلم ! (تنهض وتسير الى النافذة وتنظر الى الشارع بعينين لا تبصران . بعد لحظة تلتفت اليه) روبرت ،

إن كان لابد لنا اليوم أن نقول وداعا ، فلن يكون لنا سوى ذكريات جميلة تبقى مدى الحياة . سوف نشقى ، لكن هناك ألوانا كثيرة من الشقاء . وسيكون شقاؤنا شقاء الذين يتخلون عن الحب من أجل الحب . لن يكون فيه وهم رائل أو حسرة أو ندم .

روبرت : (فى صوت منخفض متوتر) : أهى أنت التى تتكلم ؟

اليزابث : ماذا تعنى ؟

براونتج : لست أفهمك . كنت أظن أن شجاعتك شجاعة تجرؤ على مواجهة أعظم الأمور ولا تأبه بالهزيمة ، هاهى الحياة — الحياة تقدم لنا أحسن ما يمكن أن تقدمه . وأنت لا تجرؤين على التمسك بها خشية أن تتحول فى يدك الى تراب ، علينا أن نقضى بقية حياتنا نحلم فى حزن فاتر بدلا من أن نواجه أعظم الكوارث فى سبيل أعظم سعادة . لست أفهمك . لم أظن قط أنك جبانة !

اليزابث : (باعتزاز وغضب) : جبانة ؟ أنا ؟ (بتحول

مفاجىء فى صوتها) نعم ، أنا يا روبرت جبانة ، جبانة الى أقصى حد .. لكن ليس خوفى على نفسى ..

براونتج : (ينهض مسرعا نحوها ويأخذها بين ذراعيه) أعرف ذلك يا حبيبتى ..

اليزابث : وماذا يهمنى من أى كارثة أخرى ، كبرت أو صغرت ، أنا التى لم تعرف فى حياتها سوى الكوارث ؟ لكنك محارب وقد خلقت للنصر والظفر .. فان أصابتك كارثة بسببى ..

براونتج : نعم ، محارب لكنى سئمت القتال بمفردى . أريد رفيقا للسلاح يقاتل بجانبى .

اليزابث : وليس رفيقا أصيب بجراح فى المعركة ..

براونتج : أصيب بجراح لكنه لا يهزم ولا يخاف ولا يكسر ..

اليزابث : نعم ، ولكن ..

براونتج : وأى رفيق أروع من هذا يطلبه الرجل ؟

اليزابث : لكن يا روبرت ..

براونتج : لا .

اليزابث : لكن يا روبرت ..

براونتج : لا . (يقبلها ويمنع عنه اعتراضا كانت ستتفوه به عندما ينتهى المنظر) .

الفصل الرابع

هنريتا

(بعد عدة أسابيع)

آرابل (واقفة عند الباب المفتوح وتتكلم) : يحسن بك يا با أن تدعي ويلسون تساعدك على ارتقاء درجات السلم القليلة الأخيرة .

اليزابث : لا ! لا ، لا تلمسيني يا ويلسون .

آرابل : لكن يا عزيزتي ..

(تدخل اليزابث وهي في ملابس الخروج تلهث ولكنها تزهو منتصرة . ويلسون تتبعها)

اليزابث : أخيرا ! صعدت درجات السلم كلها ، وبلا توقف أو مساعدة من أي نوع ! وأحس أني رائعة — ألهث قليلا فقط — هذا كل شيء ..

(تترنح قليلا في وقفتها ، ويلسون وآرابل

يمدان أيديهما لمساعدتها) لا . لا تلمسانى ! أنا بخـــير تمـــاما (.. تمشى الى الأريكة وتجلس .. ثم تخلع قبعتها وقفازها بعد ذلك) . والآن ألم يكن ذلك انتصـــارا رائعا ؟ وأنت تعلمين يا ويلسون انى نزلت من العربة ومشيتُ ميلين كاملين فى الحديقة .

ويلسون : عجبا ، يا سيدتى !

آرابل : يا عزيزتى !

اليزابث : حسن ، ميل واحد اذن . على أى حال ، ذلك ما سأقوله للدكتور تشامبرز .

آرابل : حقا ، يا با .. !

اليزابث : أوه ، يا عزيزتى ، لقد لطخ فلش رداءك بالوحل بشكل مشين . ما أقذرك يا فلش ! . يحسن أن تأخذيه يا ويلسون ، دعى تجينى تدخله الحمام . انه لم ينظف تنظيفا جيدا منذ أمد طويل .

ويلسون : (تأخذ فلش من آرابل) حسن جـــدا يا مس با ـــ

(ويلسون تخرج حاملة فلش)

اليزابث (تشير الى كومة من الخطابات) : أوه ، لقد وصل البريد . أرجوك يا عزيزتى أن تناولنى تلك الخطابات .

آرابل (تناولها الخطابات) : عجبا ، هذا خط مستر براوننج آسفة . لم يكن لى فى رؤيته حيلة . لكن ألا تتوقعين رؤيته عصر اليوم ؟

اليزابث (فى شرود) : نعم . (تفض الخطاب وتقرأه ، تبتسم لنفسها) : نعم يا عزيزتى حان موعد وصوله الآن .. أرسله خصيصا ليبلغنى تحيته المساء .

آرابل : يبلغك تحية المساء ؟

اليزابث : نعم ، كتبه مساء أمس .

آرابل : أوه !

اليزابث (تقلب الخطابات) : مستر هايدون — مس مارتينو — مستر هورن — أوه ! .. (تغير حاد يطرأ على صوتها) وهذا من أبى !

آرابل — (بلهفة) : من أبى ! لكنه سيعود اليوم .

اليزابث : ربما تأخر وصوله .. (تفتح الخطاب) .

آرابل (بتأمل) : أوه ، أظنين ذلك ؟

اليزابث : (تفحص الخطابات بسرعة وتقول فى استياء) :
أوه ! .. أوه آرابل ! ..

آرابل : ماذا به يا عزيزتى ؟

اليزابث : سنرحل .

آرابل : ترحل ؟

اليزابث : نعم ، سنرحل عن هـذا البيت . سنرحل عن لندن .. اصغى ..
(طرق على الباب وصوت هنريتا) .

هنريتا (فى الخارج) : أأدخل يا با ؟

اليزابث : أدخلى يا عزيزتى (فى همس سريع الى آرابل) لا تذكرى شيئا عن هذا الآن ..
(هنريتا تدخل) .

هنريتا : (فى دهشة بالغة) أوه ، يا ، يجب أن تقابليه فورا أ يجب أن تقابليه .

اليزابث : أقابله ..؟

هنريتا : انه فى كامل ملابسه العسكرية . كان فى قصر سان جيمس ليتسلم رتبة عسكرية — أو سمها ما شئت — من الملكة فيكتوريا نفسها . انه مدهش ! جميل للغاية . أأحضره هنا لترينه ؟

اليزابث : لكن ..

هنريتا : لا يجب أن يعلم أبى بهذا . أوه ، يا ، اسمحى لى! انك لم تقابليه بعد — هذا أنسب وقت لمقابلته ! ولم يكن بوسعك رؤيته فى صورة أبهى مما هو الآن ! .. أنت تعرفين انى أتحدث عن كابتن كوك .

اليزابث : نعم ، عرفت هذا . لكنى لا أستطيع مقابلته الآن يا عزيزتى . انى أتوقع وصول مستر براونتج بين لحظة وأخرى .

هنريتا (فى يأس واستسلام) : أوه .. اذن بالطبع هذا مستحيل .. لكن لدى فكرة يا با . سأحاول استبقاءه حتى ينصرف مستر براونتج ولا أظن أنه سيفطن الى ذلك .. (تسرع نحو الباب وتهز كتفها) بوسعك أن تستبقى شاغرك عندك كما يحلو لك .

(تخرج)

اليزابث (بضحكة قصيرة تنتهى بتنهيدة) : عزيزتى المسكينة . ينبغى عليها أن تستغل وجود صاحبها

قدر طاقتها . قد لا تراه كثيرا فى المستقبل

(تتناول خطاب باريت)

توابل : أوه ، بابا أخبرنى بسرعة !

اليزابث : انه يكتب من دوركنج (تقرأ) « أبعث بهذا لأعرفك أننا سنغادر لندن يوم الاثنين الموافق ٢٢ الجارى . لقد استأجرت شقة مفروشة فى بوكهام ، فى سادى ، على مسافة عشرين ميلا من لندن وستة أميال من ليذرهيد وهى أقرب محطة للسكة الحديد . ولم أقرر بعد ما اذا كنا سنتخذه مقرا دائما أم لا . على أى حال سنقضى الشتاء هناك سوف تفيدين بهواء الريف وهدوئه التام فى مقرك الجديد . لقد شعرت منذ وقت أنه لو استمر أسلوب حياتك المضطرب القلق فى لندن ، فسوف يكون له تأثير سىء على صحتك البدنية والمعنوية . أكتب اليك هذا الخطاب لكى تبلغى أختك وأخواتك بقرارى وتخبريهم بأنى أرفض رفضا باتا بحث هذا الموضوع حين عودتى غدا » — يعنى اليوم —

« لقد تم كل شيء . وستقولين أنت وهم باعداد الترتيبات اللازمة للانتقال »

آرابل : أوه ، يا ! ..

اليزابث (بحسرة) : ليس هذا كل ما في الأمر . إنه يختم خطابه بدعابة من دعاباته .

آرابل : دعابة ؟

اليزابث : نعم ، إنه يوقع بامضائه « والدك المحب » .

آرابل : في الثاني والعشرين . اذن لم يبق لنا هنا سوى أسبوعين فقط .

اليزابث (في ثورة) : حياتي المضطربة القلقة ... رحلات قليلة وزيارات قليلة لأصدقائي ، وزوار قلائل . يدهشني أنه لا يضنيني بأني امرأة — طائشة منحلة . لقد جعل سفري الى ايطاليا مستحيلا . وعلى الآن أن أحرم من أي متعة قليلة بدأت أجدها هنا (تطبق الخطاب وتلقي به في المدفأة) .

آرابل : أعرف يا عزيزتي وأدرك هذا . وآسفة لك أشد الأسف ان التغيير لن يضرني كثيرا ، ان

اتصالاتى فى لندن لا تعدو عملى فى الارسالية وزيارة المنطقة ، لكنك أنت وهنريتا ..

(تتردد) ..

اليزابث : حسن ؟

آرابل : (باهتمام مفاجىء) : أوه ، با ، لا تغضبى منى لو صارحتك بأن هذا الانتقال قد يخفى وراءه فى النهاية — نعمة بالنسبة لك ..

اليزابث : يخفى وراءه نعمة ! يخيل الى انى نشأت على تبجيل هذه العبارة التى أصبحت مبتذلة من كثرة ترديدها . ماذا تعنين ؟

آرابل : كلنا فى هذا البيت نتظاهر بالجهل بشئون بعضنا البعض — باستثناء شئون هنريتا وهذا أسلم — ومع ذلك فنحن نعلم — كلنا يعلم — انك ومستر براونج ..

اليزابث : حسن ؟

آرابل : أوه ، با ، يكفى أن ينظر المرء الى وجهك وأنت ترقبين حضوره ثم بعد أن يتركك ..

اليزابث : (بسخرة) : أنا أحبه وهو يحبنى ! وأى ضير فى

هذا ؟ أليس من حقى كأى امرأة أن أحب وأن أحب ؟

آرابل : آوه نعم ، يا عزيزتى — لكن الام سينتهى هذا الحب ؟ فطالما كان أبى حيا فلن يوافق على زواج أى واحدة منا . والزواج دون موافقته أمر لا يمكن تصوره . وبالنسبة لموضوعك ، فليست المسألة مجرد موافقة أبى .. بالطبع ان — ان اطراد قوتك وتقدم صحتك لأمر عجيب — لقد صعدت الدرج بطريقة رائعة لكن — لكن

اليزابث : لكن حتى لو استطعت أن أخطو عدة خطوات ، فليس معنى هذا انى أصلح للزواج يوما ما . أليس هذا ما تحاولين قوله ؟

آرابل : أوه يا عزيزتى با ، ان ما يدفعنى الى الكلام هو حبى الشديد لك وعدم رغبتى فى رؤيتك تتألمين . أنا لا أعرف الا اليسير النادر عن الرجال — سوى أنهم جميعا يرغبون فى الزواج من الفتيات اللائى يقعون فى حبهن . أنا — لا أعرف مستر براونج مطلقا — لكن — لكن

حتى كبار الشعراء يريدون الاستقرار فى الوقت المناسب ويكون لهم بيت وزوجة، و — أطفال..

اليزابث : سيكون الأمر فظيعا للغاية اذا ..

(ناهضة على قدميها) أوه — اسكتى ! أتظنين انى لم أفكر فى كل ذلك ألف مرة ؟ (تمضى الى النافذة وتطل منها) .

آدابل : آسفة، أنا — أنا لم أقصد التدخل . كل ما أريد هو أن أوفر عليك — (تنتبه الى أن اليزابث لا تنصت اليها ولكنها تحرك رأسها لشخص فى الطريق ووجهها يفيض بشرا) . أوه ..

(تنهض وتتسلل من الحجرة بهدوء، دون أن تحس بها اليزابث) .

اليزابث (تستدير) : مستر براونتج قد — (تتنبه الى أن الحجرة خالية) أوه ..

(تلمح خطاب باريت ملقى على المدفأة فتتناوله وتفرده وقد خلا وجهها من البشر وتضعه على رف المدفأة . طرق على الباب) .

أدخل .

(يدخل براونتج ويتبادلان النظرات لحظة فى سكون ، ثم يتقدم اليها ويضمها بين ذراعيه) .

براوننج : حبيبتي ..

اليزابث : روبرت ..

يتبادلان قبلة .

براوننج (يمسكها بين ذراعيه الممدودتين) : يبدو أنك متعبة ياحبيبتي ماذا كنت تعملين اليوم ؟

اليزابث (بخفة مصطنعة) : خرجت للنزهة بالعربة — ولأتمشى في الحديقة . وبعد ذلك صعدت الدرج مسرعة بلا مساعدة ، وبلا توقف .

براوننج : أوه ، لكنك تعرفين — ! بالطبع يا عزيزتي هذا عمل رائع يستحق التقدير ، وأنا فخور بك !.. تعالي واجلسي . (يقودها الى الأريكة ، ويجلسان) . والآن ، ألم تجرفك الرغبة في السير أكثر من اللازم ؟

اليزابث : لا أظن ذلك .. لكني أحس أني بخير بدرجة عجيبة ..

براوننج : أنظر الي .

(تنظر اليه) .

يا ، ماذا بك ؟

اليزابث : لاشيء .

براوننج : هل عاد والدك ؟

اليزابث : لا ، اننا نتوقع وصوله اليوم .

براوننج (يحيط وجهها براحتيه) : عيناك المعبرتان تفصحان كل ما تخفين . شيء ما قد حدث . ما هو ؟ يجب أن تخبريني .

اليزابث : روبرت ، اقرأ هذا الخطاب الموجود على المدفأة .

براوننج : (يتجه الى المدفأة ويأخذ خطاب باريت) : من والدك ؟

اليزابث : نعم .

(يقرأ الخطاب ، ثم ينظر اليها . وعلى وجهه ابتسامة غريبة . حسن ؟) .

براوننج : (وهو ما زال مبتسما) : أظن ، بعد ما شاهدته ، انك أطبقت بيدك الصغيرة — في حنق على هذا الخطاب وأنا واثق تماما أنك ألقيت به في الموقد .

اليزابث : نعم فعلت هذا ، لكني ..

براوننج : لماذا ؟

اليزابث : أوه ، روبرت ، ألا تدرك ما يعنيه هذا بالنسبة لنا ؟

براونتج : نعم — وربما أحركه أكثر منك .

اليزابث : أكثر منى ؟ أوه ، يجب ألا تخدع نفسك ! انك تظن أن هذا الانتقال لن يؤثر فينا كثيرا ! انك تظن ان فى استطاعتك السفر من لندن بالعربة لمقابلتي كثيرا كما تتقابل هنا انك مخطىء ! مخطىء ! — أنت لا تعرف أبى كما أعرفه . لقد أصبح يحس بالغيرة من حياتى هنا ومن متعى وأصدقائى — وانه يجب أن أبتعد عنهم ببطىء ولكن بطريقة مؤكدة . كنت أحس منذ وقت بأن هذا سيحدث . أوه ، يا روبرت . عما قريب سيتعذر على رؤيتك بأية حال .

براونتج : هذا الخطاب العزيز قد يعنى هذا كله . لكنه يعنى أمورا أكثر لم تستطيعى ادراكها بعد .

اليزابث : يعنى أمورا أكثر ..؟

براونتج : انه يعنى أنك ستكونين فى ايطاليا قبل أن ينتهى هذا الشهر .

اليزابث (فى همس) : ايطاليا ؟

براونتج : نعم — ومعى .

اليزابث : روبرت

براونج : لقد يعنى أنك يجب أن تتزوج على الفور .

اليزابث : (وهى تقهقر) : أتدرى ماذا تقول ؟

براونج : نعم . أدرك تماما أقول . وأكرره . يجب أن تتزوج على الفور . (يمضى نحوها) حبيبتى اصغ الى (كان على وشك أن يمسك يديها)

اليزابث : (فزعة) لا ! لا تلمسنى ! ان ما تقوله هو الجنون بعينه ! لا أستطيع الزواج منك — لن أستطيع الزواج منك على الاطلاق .

براونج : (بانفعال عاطفى مفاجىء) بل تستطيعين . وستوفقين ! سوف تتزوجيننى ! سوف تتزوجيننى . ينبغى على أن أحملك من هذا البيت وأذهب بك الى مذبح الكنيسة ! (يسيطر على نفسه) هل تتصورين حقا انى أسمح لنفسى بالانسحاب من حياتك الآن ؟ لا لشىء سوى مجرد ارضاء غيرة أنانية لرجل لم أعد أعتقد أنه عاقل . يجب أن تعرفينى جيدا الآن

اليزابث (تقاطعه بسرعة) : أوه روبرت . ليس أبى وحده الذى يحول بيننا انه أنا — انه أنا ...

براونتج : لقد طرقنا هذا الموضوع مائة مرة ، و —

اليزابث : نعم ، والآن يجب أن نطرقه مرة أخرى وبصراحة وللمرة الأخيرة .

براونتج : لكن ...

اليزابث (تسكته باشارة منها) : روبرت لا جدوى من أن نخدع أنفسنا . فمهما تقدمت صحتى فستبقى عليلة على الدوام . لقد قلت لى انك تريدنى سقيمة أو سليمة وانه لجميل منك أن تقول ذلك ، وأنا أعلم أنك تؤمن بما تقول ... لكنى ليست كريمة الى حد ، أو أن شئت قل متكبرة الى حد انى لا أقبل ما أحس ، تمام الاحساس ، زعم كل ما تقول ، انه تضحية بحياتك ومستقبلك ، وأنا زوجة لك سيوف تلاحقنى الأفكار ليل نهار ، بالأشياء العظيمة التى كنت ستتمتع بها لولاى ، الحرية ، الانطلاق ، والمغامرات ، الحب العاطفى . فى الحقيقة لن أستطيع اشباع ...

براونتج : لا ، لا ، اصغى لى ...

اليزابث : (من كل قلبها) : اوه يا روبرت سوف تلاحقنى

أشباح أطفالك الذين لم يروا نور الحياة ..
حين قرأت هذا الخطاب بدت الحياة حطاما ..
لكنى الآن أشكر الله أن حدث هذا ونحن مازلنا
أحرارا ، ونملك القوة لنتصافح ونقول وداعا
(تمد يدها)

براونلو (وقد تغيرت حاله تماما ، متجاهلا يدها ، ويتكلم بصوت هادىء متزن) : على العموم أظن أن هذه ستكون أحسن خطة للحملة . ستغادر العائلة هذا المكان (يتصفح الخطاب) — فى الثانى والعشرين. وعلى هذا فأمامنا أسبوعان لانجاز كل شىء . لقد قلت لى فى المرة السابقة أن مستر هيدلى قد دعا أخواتك لنزهة قصيرة فى متنزه ريتشموند يوم السبت القادم وعلى ذلك سيكون البيت خاليا تماما . سنتقابل فى كنيسة مارى لى بون ، وتتزوج فى هدوء فى وقت ما من الصباح . سأحصل على الترخيص فى الحال وأقابل القسيس .

اليزابث (التى كانت تنظر اليه فى دهشة وخوف) : ويورت ...

براونتج : (كما كان من قبل) : سيكون من الجنون أن نغادر لندن فى نفس اليوم . ستكونين فى حاجة الى كل ما يمكنك الحصول عليه من راحة وهدوء قبل الرحلة . ولذا أرى أنه من الأوفق أن تعودى الى هنا — بعد أن تتزوج مباشرة — ثم ترتاحين ليوم أو يومين . سيكون أمامك ستة أيام اذا سافرنا يوم السبت المقبل . والآن — (يتناول ورقة من جيبه) .

اليزابث : أوه ، صه ! لا أستطيع أن أستمع اليك !

براونتج (كما كان من قبل ويطالع الورقة) : منذ مدة وأنا أسجل بدقة مواعيد ابحار البواخر من سوثهامبتون استعدادا لطارىء كهذا . تغادر الباخرة « راكت » الرصيف الملكى فى التاسعة من مساء السبت . يجب أن تسافر بقطار الاكسبريس الذى يغادر فوكسهول فى الخامسة ويصل الى سوثهامبتون فى الثامنة .

اليزابث : أوه (تضحك فى عنف وتهيج وتتحول الضحكة الى نشيج) .

(براونتج يحتويها بين ذراعيه ويجلسها بجانبه

على الأريكة . نشيجها يخف تدريجيا ويتحول بانكسار) :

و — وكنت دائما أعتقد أن أبي أكبر متصلف في العالم ...

براونتج : (مبتسما) ، ومع ذلك فقد عرفتني منذ مدة !

اليزابث : لكني لا يجب أن أسلم ، روبرت — لا يجب — لا أجرؤ ...

براونتج : هناك أمر آخر ، يا حبيبتي ، على أعظم قدر من الأهمية ، يجب أن نسويه على الفور . لا يمكنك السفر بدون خادمة . لابد أن لدى ويلسون فكرة ثاقبة عن علاقتنا . أنت تقولين انها متفانية في حبك . لكن هل تظنين انها على استعداد للسفر معنا الى الخارج ؟

اليزابث : (بعد فترة سكون في صوت منخفض) روبرت.. ألم يخطر ببالك أن صحتي قد تنهار أثناء الرحلة.

براونتج : نعم .

اليزابث : افرض أنه قدر — قدر لي أن أموت بين يديك ؟

براونتج : (بهدوء . بعد فترة سكون قصيرة) : أخائفة ، بابا ؟

اليزابث : (بأنفه وغضب) : خائفة ؟ أنا ؟ أنت تعلم انى لا أخاف ! أنت تعلم أنى أفضل الموت الآن وأنت بجانبى على العيش مائة حياة بدونك ... لكن — لكن ما هو شعورك اذا قدر لى أن أموت على هذا النحو ؟ وماذا سيقول العالم عنك ؟ ..

براوننج (بهدوء) سيصفنى بأننى أحسن قليلا من سفاح. أما ماذا سيكون شعورى — فأتركك تتصورين ...

اليزابث : ومع ذلك تطلب منى أن أسافر معك ؟

براوننج : نعم أنا مستعد أن أجازف بحياتك بل وحياتى أيضا لأنجو بك من هذا البيت المخيف الى الشمس المشرقة ولأتخذك زوجة لى .

اليزابث : أتحبنى الى هذا الحد ؟

براوننج : أحبك الى هذا الحد .

(فترة سكون طويلة) .

اليزابث : روبرت ... ألا — ألا تمهلنى بعض الوقت ؟

براوننج : الوقت ضيق ، يا عزيزتى .

اليزابث : نعم . أعرف ذلك ، لكن يجب أن تمهلنى بعض الوقت . ليس بوسعى أن أتخذ قرارا الآن .

لا أجرؤ ... أحس أن شيئا ما لابد أن يحـدث قريبا ليوضح لى الطريق تماما ... أمهلنى ساعات قليلة . قبل أن أنام الليلة سأكتب اليك وأخبرك بقرارى .. أرجوك يا روبرت .

براونتج : أتعدیننی بذلك ؟

آليزابث : أعدك .

براونتج : حسن جدا ...

اليزابث : أشكرك .

براونتج : أأنصرف الآن ؟

اليزابث : أرجوك ...

(يجثو على ركبتيه ويتناول يدها ويضمها الى شفتيه بحرارة . اليزابث تقابل هذه الملاطفة بسـلبية . ينهض ويغادر الحجرة فى صمت .
تجلس ساكنة وتنظر أمامها . فترة سكون . طرق خفيف على الباب . فترة سكون أخرى ثم طرق شـــــديد . اليزابث تفيق من أفكارها) .

أدخل .

هنرييتا تدخل .

هنرييتا : رأيت مستر براوننج ينزل الدرج ... هل أسمح له بالدخول ؟

اليزابث : له ؟

هنرييتا : انه يقف فى الخارج ... (تهز اليزابث هزة بسيطة) انتبهى يابا . انى أتحدث عن سورتيز .

اليزابث : أوه ، نعم ، بالطبع ... لكن ألا يحسن أن أرجىء مقابلته لوقت آخر ؟

هنرييتا : لا ! لا ! قلت لك أنه فى زيه العسكرى . لقد وعدت برؤيته ، يابا !

اليزابث (بتنهيدة) : حسن يا عزيزتى ...

هنرييتا (تتحدث فى الردهة) : ادخل ياسورتيز .

(كابتن سورتيزكوك يدخل . رجل ضخم جميل الصورة ذو لحيـــة صغيرة ووجه منفرج الأسارير . يبدو فى أقصى أبهتـــه العسكرية ويتابط قبعته العسكرية) .

كابتن سورتيز كوك — يا — أختى اليزابث .

(اليزابث تنهض لمقابلته . كوك يضم قدميه وينحنى بصلابة) .

كوك : خادمك يا مس باريت .

اليزابث (تمد يدها اليه) : كيف حالك ؟

كوك : (يتناول يدها وينحنى عليها) : أقسم بشرفى أن لى عظيم الشرف يا مس باريت . أعرف أنه ليس بوسع كل شخص مقابلتك هنا .

هنرييتا : بالطبع لا ياسورتيز ! باستثناء العائلة . لم يسمح بالدخول الى حجرة با الا لقلة من الرجال .

كوك : نلت شرفين فى يوم واحد . الأول شرف مقابلة جـلالة الملكة ، والآن شرف مقابلتك يا مس باريت . لا أدرى ماذا فعلت لأستحق هذا .

اليزابث : أوه . نسيت ! انك قادم توا من القصر الملكى . لم أر الملكة مطلقا . ما شكلها ؟

كوك : سيدة صغيرة جدا يا سيدتى ، لكن عليها أبهة الملك .

هنرييتا : انك لا تتقلد سيفك ياسورتيز .

كوك : ليس من أصول اللياقة ، كما أخبرتك ، أن تتقلده داخل المنزل .

هنرييتا : أوه — تبـا للياقة ! أريد أن تراك با فى زيك العسكرى الكامل . أين تركته ؟

سودتيز : فى الصالة .

هنرييتا : سأحضره (تجرى الى الباب) .

كوك : لا — فى الحقيقة مس باريت لا تريد —

(هنرييتا تخرج) .

اليزابث : لكنى حقا أريد ذلك يا كابتن كوك ! لا أذكر انى رأيت من قبل ضابطا فى كامل صورته الحربية ، الا فى الاستعراضات والاحتفالات — وكان ذلك منذ سنوات .

كوك : حقا ؟ (بعد فترة سكون قصيرة) . اسمحى لى يا مس باريت ...

اليزابث : نعم ؟

كوك : مس باريت ...

اليزابث : (بتشجيع) : نعم يا كابتن كوك ؟

كوك : اسمحى لى ، يا مس باريت ...

اليزابث : أتريد أن تقول لى شيئا عن هنرييتا ؟

كوك : (بلهفة) : بالضبط ، يامس باريت بالضبط — أنت تعرفين ، يامس باريت — انت تعرفين — (يعجز عن مواصلة الحديث)

اليزابث : (بكل لطف) : نعم ياكابتن كوك . اعرف . رغم عجزى التام عن المساعدة ، أرجو أن تصدقنى

اذ قلت أنى أعطـف عليك من كل قلبى (تمد له يدها)

كوك (يأخذ يدها بين يديه) :شكرا لك . هذا أكثر مما استحق . شكرا لك يامس باريت . لا توجد فتاة مثلها — اعنى هنرييتا كما تعلمين . لا أدرى ماذا فعلت حتى أنال ...

(هنرييتا تدخل وتحمل السيف . اليزابث وكوك مازالا متصافحين) .

هنرييتا : أوه ، كنت أظن أنه انتهز الفرصة ليخبرك بشىء وأنا خارج الحجرة . هل استطاع أن يصرح لك بشىء ؟

اليزابث (مبتسمة) : ربما . لم يستطع تماما . هل صرحت لى بشىء ، يا كابتن كوك !

كوك : حسن — آه — أنت تعرفين . على أى حال . انك كغالبية السيدات ، سريعة الفهم ...

اليزابث : نعم ، فهمت . (تقبل هنرييتا) كم أتمنى ياعزيزتى أن أفعل شيئا لكما .

هنرييتا : حسن ، انك لا تستطيعين ، رغم انك الابنـة المفضـلة ! ولا يستطيع أى انسـان (تجلس

والسيف بين يديها) . سورتيز يريد أن يتقدم لأبى ليطلب يدى تماما كما يفعل أى راغب فى الزواج . ولا أستطيع اقناعه أن مثل هذه الأمور ليست ممكنة فى المنزل رقم ٥٠ بشارع ويمبول.

اليزابث (بحماس) : أوه صدقنى ياكابتن كوك ، ان هذا أمر لا جدوى منه ! قد تطرد من المنزل نهائيا — ولا أدرى ماذا يحدث لهنريتا !

كوك : أدرك تماما يا مس باريت انى لست أهلا للزواج . أنت تعرفين انى رجل فقير لا أملك سوى شيئا بسيطا بجانب مرتبى . ومع ذلك فلى مركز محترم ، الى غير ذلك . ومستعد اذا اقتضت الضرورة أن أعتزل الخدمة العسكرية وألتحق بعمل يدر على مالا ، لكن ...

هنريتا : وتدفع نفسك فى ورطة رائعة يا عزيزى المسكين؟

كوك : حسن . لست واثقا من ذلك ، أعترف بالطبع أن العسكرية هى عملى الخاص . وأخشى ألا أكون مهيئا لعمل آخر . ومع ذلك فأنت لا تعرفين على الاطلاق ماذا يمكن أن يفعل المرء اذا لم يحصل على جائزة ثمينة كهنريتا تقديرا لجهوده . ما قولك ، يا مس باريت ؟

هنرييتا : أوه أيمكنك أن تفهميه يابا ؟ انى لا أستطيع !

اليزابث : (بطريقة مؤثرة للغاية) : كابتن كوك . لو كنت أمير « أولديرادو » أرض الأحلام والثراء وجئت تتودد الينا حاملا ما يثبت انك سليل أحد نبلاء القمر فى يد ، وشهادة حسن سير وسلوك من أقرب كنيسة فى اليد الأخرى — حتى حينذاك — فسوف يطردك أبى ! الآن هل فهمت ؟

كوك : لا أستطيع أن أقول انى فهمت .

هنرييتا : على أى حال ، لا داعى لأن تتحدث مع بابا ؛ وأمنعك من اعتزال العسكرية ، الآن وقد رأيتك فى أبهتك. أتظن أنى أقبلك بدون زيك العسكرى، انهض . أريد أن أعلق لك السيف .

كوك : أوه . استمعى — (يقف ،يبتسم فى خجل) .

هنرييتا (تبدأ العمل) : با تظن أن الشعراء زهرة الرجولة — شاعر بعينه على أى حال . أريد أن أوضح لها انها مخطئة ...

كوك : انتبهى ، لقد أخطأت مكان السيف انه على الفخذ الأيسر .

هنرييتا : لماذا ؟

كوك : حسن ...

(يدخل باريت ، ويرى المنظر فى دهشة . وجهه يتجمد فى قالب من الاستياء . الفتاتان تحملقان فيه وتتركز نظراتهما عليه . كوك يقف جامدا) .

اليزابث : أبى ... لقد — لقد عدت الى المنزل مبكرا عما كنت أتوقع .

باريت : لا أظن أنى حظيت بشرف معرفة هذا الرجل الفاضل من قبل ؟

هنرييتا : كابتن كوك ، أتأذن أن أقدم لك والدى ؟ أبى — كابتن سورتيز كوك .

كوك : خادمك يا سيدى .

(كلا الرجلين ينحنيان بجمود) .

هنرييتا : (بعد فترة سكون قصيرة) : كابتن كوك صديق عظيم لجورج وأوكى .

باريت : حقا ؟ (الى كوك) يندر وجود أبنائى فى البيت فى مثل هذا الوقت من النهار .

كوك : الحقيقة — انى كنت مارا بالمنزل — ورأيت أن أدخل عسانى — انك تعرف ، يا سيدى أجد أحدهما ، الى غير ذلك ...

باريت : فهمت .

اليزابث (فترة سكون) : كابتن كوك عائد توا من قصر بكنجهام ... وظنت هنريتا أنى قد أرغب فى رؤيته وهو فى أبهة زيه العسكرى .

باريت : حقا . (يخرج ساعته وينظر اليها) .

كوك : لا شىء يستأهل النظر ، بالطبع ، لكن السيدات يحببن الألوان ، و ار—أوه يا الهى لقد تأخرت.

باريت (يضع الساعة فى جيبه) : الساعة الخامسة وتسع عشرة دقيقة ونصف .

كوك : يا الهى حان الوقت لأنصرف .

(باريت يشد حبل الجرس مرتين) .

فى حفظ الله يا مس باريت .

اليزابث : فى حفظ الله يا كابتن كوك (تمد يدها اليه) .

(باريت يتجه الى الباب ويفتحه) .

كوك : فى حفظ الله يا مس هنريتا .

هنريتا : سأوصلك الى الخارج .

(كوك يتجه الى الباب تتبعه هنريتا) .

كوك : (الى باريت) خادمك يا سيدى .

(باريت يرد على انحناءته فى صمت) .

هنريتا : سأوصل كابتن كوك الى الباب .

باريت : سيتولى الخادم هذه المهمة .

(يغلق الباب ، وفى صمت ، يتجه الى المدفأة ويقف أمامها . وهو يتكلم وينظر الى الأمام)

يبدو يا أليزابث أن قائمة زوارك من الرجال بدأت تزداد طولا .

اليزابث : هذه أول مرة قابلت فيها كابتن كوك .

باريت : حقا . لكنى أستنتج مما شاهدته حين دخلت الحجرة أن صلة هنريتا به ترجع الى وقت طويل . أم هل أخطأت ؟

هنريتا : عرفت كابتن كوك منذ مدة .

باريت : ومنذ متى تعودت على تعليق أسلحته .

هنريتا : لم أره مطلقا فى زيه العسكرى من قبل .

باريت : وأظن أنه سيكون من المحال عليك فى المستقبل رؤيته كثيرا فى زيه العسكرى أو المدنى .

هنريتا (فى صوت متهدج) : لماذا ؟

باريت (متجاهلا السؤال) : مرة أخرى قد أكون مخطئا ، لكنى ، يا اليزابث ، كنت واثقا من انى يجب أن أحاط علما قبل حضور الغرباء هنا لزيارتك .

اليزابث : من الصعب ، يا أبى أن يوصف صديق جورج أو أوكى بأنه غريب .

هنرييتا : هل سيمنع كابتن كوك من دخول البيت لأنى ساعدته فى تعليق سيفه .

باريت (الى اليزابث ، متجاهلا هنرييتا) : هل تسلمت خطابى ؟

اليزابث : نعم . يا أبى .

باريت : ما حدث الساعة أكد لى حكمة قرارى . هـذا البيت يتحول بسرعة الى مكان لمقابلات غرامية لنصف سكان لندن . ليس لدى وقت أو ميـل الى التحرى عما اذا كان جميع الأشخاص الذين يزورون هذا المنزل من أصحاب أطفالى المرغوب فيهم . ولحسن الحظ أن بيتنا الجديد يقع بعيدا عن البلدة لدرجة تجعل من غير المرجح أن يزعجنا أصدقاؤكم فى لندن ، فى فصل الشتاء على الأقل.

هنرييتا : نعم ... وصديقى أيضا .

باريت : آه .

هنرييتا : نعم ولهذا فأنا التى أشرت عليه بمقابلة با ، وأنا

التى طلبت منه أن يعلمنى طريقة تعليق السيف .
من الظلم . أن تعاقبه على ...

اليزابث (محذرة) : هنرييتا ...

باريت (الى هنرييتا بصوت حاد منخفض) : تعال هنا .

هنرييتا (تتقدم نحوه بضع خطوات وتتكلم وهى مبهورة بعض الشىء) : نعم ، يا أبى ... ؟

باريت (يرمقها لحظة بنظرة ثابتة وهو مقطب الجبين ثم يشير الى الأرض عند قدميه) : تعالى هنا .

(تتجه اليه مباشرة بأنفاس خائفة متلاحقة ، يظل مثبتا نظره على وجهها . يقول فى صوت منخفض مشؤوم) .

ما صلة هذا الشخص بك ؟

هنرييتا : قلت .. قلت لك .. انه صديق لنا .

باريت : ما صلته بك ؟

هنرييتا : ص .. صديق ....

باريت : أهذا كل شىء ؟

هنرييتا : نعـم

باريت : (يقبض على معصمها فجأة ، وصوته كقرقعة السوط) : كاذبة !

اليزابث : (بحدة) : أبى ! .

هنرييتا : (تلهث) : دعنى !

باريت : (يشدد قبضته): ما صلة هذا الرجل بك؟ أجيبى.
(تحاول التخلص منه وتصرخ) .

هنرييتا : أوه أنى ... أرجوك ...

باريت : أجيبى .

هنرييتا : أوه ، لا تكن ... لا تكن ...

باريت : أجيبى .

هنرييتا : (فى صوت مختنق) : انه — انه — اوه ، أبى ، انى أحبه —

باريت : آه ... (يقبض على معصمها الآخر ويضطرها الى الركوع على قدميها .. يقول بحنق) : آه — أنت — أنت — أنت — (تصدر صرخة ألم) .

اليزابث : (تمسك ذراع باريت) : أبى — دعها ! لا أريد هذا ! دعها على الفور !

(باريت يطوح بهنرييتا بعيدا ، تتكوم على الأرض ، تنشج ، وجههامدفون بين يديها) .

باريت (يتحول الى اليزابث) : وأنت — كنت تعلمين بهذا — الدنس ؟

اليزابث : كنت أعرف منذ وقت أن هنرييتا تحب كابتن كوك ، وكنت أشاركها بكل عواطفى .

باريت : أتجرأين على أن تقولى لى ..

اليزابث : نعم ، وكنت على استعداد لتقديم العون لهـا لو كنت أملك ذلك .

باريت : سأحاسبك فيما بعد . (الى هنريتا) انهضى .

هنريتا : (تحتضن ركبتيه فجأة وتقول فى عطف وتوسل): أوه ، أبى ، أرجو أن تصغى الىّ — أرجوك . أنا لست فتاة سيئة — أقسـم لك أنى لست كذلك . أعرف انى خدعتك — وأنا آسفة — أنا آسفة .. لكن لا حيلة لى فى ذلك — أنا أحبه — كلانا يحب الآخر — ولو علمت بهذا لطردته من المنزل ... أوه ، ألا تستطيع أن تفهم ، ألا تحاول أن تفهم ؟ ... انه فقير — اننا لا نتوقع الزواج الآن — لكنه رجـل طيب — وليس عيبا أن أحبه — لماذا أحـرم من الحب ؟ أريد الحب ولا يمكن أن أعيش بغير الحب . تذكر كيف كنت تحب أمى وكيف كانت تحبـك — و — وسوف تفهمنى وتشفق على ...

باريت : (بقسوة) انهضى ..

هنريتا : كن رحيما بى . يا أبى ...

باريت : انهضى . (يفك يديها من حول ركبتيه بعنف ، تترنح على قدميها) . اجلسى هناك (يشير الى مقعد) .

(ترتمى على المقعـــد ، وتجلس فى أعياء ورأسها منحنية) .

منذ متى بدأت هذه العلاقة ؟

(هنرييتا لا تقول شيئا) .

أتسمعيننى ؟ منذ متى كانت لك صلة بهـذا الشخص ؟

هنرييتا : عر — عرفته منذ أكثر من سنة بقليل .

باريت : وكنت تلتقين به كثيرا ؟

هنرييتا : نعـم .

باريت : بمفردك .

هنرييتا : نعـم .

باريت : أين ؟

هنرييتا : نحن — أنا — كنت ألتقى به فى الحديقة و — و —

باريت : و — هنا ؟

هنرييتا : نعـم .

باريت : هنا وبمفردك ؟

(هنرييتا صامتة) .

هل قابلته فى هذا البيت بمفردك ؟

هنرييتا : نعـم .

باريت : هكذا ! أمور دنسة تجرى سرا تحت سقفى — وتستر ممن كنت أعتقد أنها طاهرة طيبة ...

هنرييتا : لا — لا ...

اليزابث (فى عنف) : أبى ، كيف تجسر على هذا القول !

باريت : صه ! (الى هنرييتا . صوته صلب وبارد كالثلج): الآن اصغى الى . شىء كهذا حـدث منذ عام أو عامين ، وكنت أظن أنى قد سحقت نزعاتك الشيطانية . كنت مخطئا . كان الأمـر يتطلب اجراءات أشـد صرامة مما كانت تسـمح به شجاعتى ... لذلك فاذا لم أحصل منك الآن على عهد بألا تقابلى هذا الرجل أو تتصلى به مـرة أخرى بأى طريقة ، فستتركين بيتى على الفور ، كما أنت ، بلا شىء سوى ما عليك من الملابس . وفى هذه الحالة ، ستكونين سـيدة نفسـك ويمكنك القضاء على نفسك قضـاء أبديا كما

تشائين . لكن يجب أن تتأكدى من هذا : لو تركت بيتى فلن يسمح لك بدخوله مرة أخرى مهما تكن ادعاءاتك ، وطالما كنت حيا . أظنك الآن قد أيقنت أنه ليس من عادتى أن أصدر تهديدات باطلة . وألا أتراجع عن كلمتى . حسن، الأمر لك . ولك أن تختارى .

هنرييتا : (بعد صراع عقلى أليم) : ألا تهتم بأنى — بأنى سأمقتك بسبب هذا حتى نهاية حياتى ؟

باريت : أتفه من لاشىء .

هنرييتا لكن — لكن لابد لى أن أحيط كابتن كوك علما بأن ...

باريت : سيكون لى حساب مع كابتن كوك .

هنرييتا : (فى يأس) : لكن يا أبى ...

باريت : أتقطعين على نفسك عهدا مقدسا بألا تقابلى هذا الرجل أو تتصلى به مرة أخرى .

هنرييتا (بعد فترة صمت ، فى صوت مخنوق) : أنا — أنا لا أملك الخيار .

باريت : هاتى انجيلك ياليزابث . .

اليزابث : لماذا ؟

باريت : لست مستعدا لقبول عهد عادى من أختك ، لكنى أظن أنها ستتردد فى نقض أى عهد تقطعه ويدها على كلمة الله . هات انجيلك .

اليزابث : انجيلى كان ملكا لأمى . ولا أقبل أن يستخدم فى مثل هذا الغرض .

باريت : هات انجيلك .

اليزابث : لا .

باريت : أترفضين ؟

اليزابث : نعم .

(باريت يجذب حبل الجرس . فترة صمت . لا أحد ينطق أو يتحرك . تدخل ويلسون) .

باريت : أريد أن تذهبى الى غرفة نومى وتحضرى انجيلى . هل يداك نظيفتان ؟

ويلسون : (تنظر الى يديها) : يداى ، ياسيدى ؟

باريت : هل هما نظيفتان ؟

ويلسون : (فى شىء من الغلظة) : نعم ، يا سيدى . فرغت توا من المساعدة على تنظيف فلش .

باريت : ستجدين الانجيل على المنضدة بجانب فراشى .

ويلسون : حسن ، يا سيدى .

(تخرج . الثلاثة صامتون جامدون حتى تعود) .

(ويلسون تدخل مرة أخرى ومعها انجيل باريت . تناوله له وتنصرف) .

باريت : (الى هنرييتا . وهو يضع الانجيل على المنضدة فى وقار) : تعال هنا .

(هنرييتا تنهض وتذهب الى المنضدة)

ضعى يدك على الكتاب .

(تفعل ما أمرت) .

رددى ورائى : أعاهدك عهدا مقدسا . انى لن أقابل أو أتصل بكابتن كوك مرة أخرى :

هنرييتا : (فى صوت بلا نغمة) أعاهدك عهدا مقدسا أنى لن أقابل أو أتصل بكابتن كوك مرة أخرى .

باريت : اذهبى الآن الى حجرتك وابقى هناك حتى تحصلى على اذن منى بمغادرتها .

(تخرج هنرييتا دون أن تنطق بكلمة . لكنها ترفع رأسها عاليا) .

(بعد فترة صمت) :

اليزابث ألديك ما تقولينه لى ؟

اليزابث : لا .

باريت : حينئذ لابد أن أتركك مع استيائى البالغ . سوف لا أراك مرة أخرى ، ولن يكون لى شأن بك ، حتى يلين الله قلبك وتندمين على ما ارتكبت من شر ، وتسأليه المغفرة ، و ... وأنا .

(يأخذ أنجيله ويخرج) .

(فى اللحظة التى يغلق فيها الباب تشد اليزابث حبل الجرس . تفعل هذا ويبدو عليها العزم . فترة سكون . ويلسون تدخل) .

اليزابث : أرجوك أن تقفلى الباب (فى عجلة) ويلسون ، أأنت صديقتى ؟

ويلسون : (مندهشة) : صد — صديقتك يا مس ؟

اليزابث : نعم ، صديقتى . أنا الآن فى أشد الحاجة الى الصداقة والعون .

ويلسون : لا أفهم بالضبط يا مس با ... لكنى أحبك — وعلى استعداد أن أفعل أى شىء لمساعدتك .

اليزابث : على استعداد ؟ وأنا أعرف أن بوسعى أن أثق بك.

ويلسون : نعم ، بالتأكيد يا مس .

اليزابث : سأتزوج مستر براوننج يوم السبت المقبل .

الفصل الخامس

بابا

المنظر الأول

(اليزابث راكعة بجانب فلش تثبت قطعة رصاص على طوقة ، تربت على رأسه وهى شاردة الذهن . تنهض ، تلتقط كومة من الخطابات داخل مظاريفها من فوق المنضدة ، تتصفحها وتضعها على رف المدفأة . ثم تمضى الى النافذة وهى ترسل تنهيدة عميقة وتشبك يديها وتفكها فى عصبية .. وبعد أن تقف عند النافذة لحظة ، تتنهد مرة أخرى وتعود الى رف المدفأة تلتقط الخطابات وتضعها على المنضدة واحدا بعد الآخر . حرملتها وقبعتها وقفازاها الخ فوق السرير .

ويلسون تدخل الحجرة مسرعة وعلى ذراعيها بطانيتان تستخدمان أثناء السفر .

ويلسون : أوه ، أنا آسفة للغاية يا سيدتى . نسيت فى اضطرابى وأنا أحمل الأمتعة الى محطة السكة الحديد أن أحزم هاتين البطانيتين . وكان هناك متسع كبير فى الحقيبة التى بها البطاطين .

اليزابث : لا داعى للأسف .

ويلسون : (تضع البطانيتين على ظهر أحد الكراسى) : أرجو ألا نكون قد نسينا شيئا سواهما .

اليزابث : ولو حدث فلن تهمنا كثيرا . لقد أصر مستر براوننج أن نسافر بأمتعة خفيفة بقدر الامكان سيكون باستطاعتنا أن نحصل على كل ما نريد من باريس .

ويلسون : يبدو ، يا سيدتى أنه من غير الممكن أن نكون فى باريس غدا .

اليزابث : لا ... (تنظر فى ساعتها) أوه ، الوقت يزحف بطيئا للغاية . حتى الآن لم يمض سوى ساعة ونصف فى هذا الانتظار المزعج ... أمتأكدة ، يا ويلسون ، انهم فى الاسطبل يعرفون متى ، وأين ستقابلنا العربة ؟

ويلسون : أوه نعم ، يا سيدتى . حرصت كل الحرص على التأكد من أن الفتى قد فهم كل شىء — ستكون العربة عند ناصية شارع ويمبول فى تمام الثالثة والنصف . لن يستغرق وصولنا الى مكتبة هودجسون أكثر من عشر دقائق — وبعدئذ سيتولى مستر براونج أمرنا (يتحول صوتها الى

ويلسون : (بعد صمت) . لماذا لا تكتبين بعض الشعر يا سيدتى ؟

اليزابث : (متحيرة) شعر ... ؟

(اليزابث تنفجر فى ضحكة هستيرية نوعا ما ـ هنرييتا تدخل وعليها شالها وقبعتها . فى يدها خطاب . واليزابث تقطع ضحكتها فجأة ، وتنظر اليها بعينين وجلتين) .

اليزابث : (تقلب خطاباتها فجأة على وجوهها) كنت — كنت أظن أنك قد خرجت .

هنرييتا : ويلسون . أريد التحدث الى مس با .

ويلسون : سمعا ، يا سيدتى .

(تخرج) .

هنرييتا : كنت خارجة حين ألفيت رسولا لدى الباب جاء بهذا الخطاب . انه لك .

اليزابث (تمد اليها يدها فى لهفة) : لى ؟

هنرييتا (محتفظة بالخطاب) : نعم لكنه بخطه .

اليزابث : كابتن كوك ؟

هنرييتا : نعم .

اليزابث : فضيه يا عزيزتى .

هنرييتا : (تفض الخطاب وتقرأه) : « عزيزتى مس باريت أعلم انى ارتكب خطأ جسيما باقحامك مرة أخرى فى شئونى وشئون هنرييتا . لكن الأمر من الأهمية لدرجة انى واثق انك ستغفرين لى . صدر أمر الى فرقتى بالسفر الى سومرست فى أقرب وقت ممكن — ولابد لى من مقابلة هنرييتا قبل سفرى . لو كتبت اليها مباشرة ، فمن المؤكد أن يقرأه مستر باريت . أنا أعرف أنه يفتح جميع خطاباتها . هذا ما دفعنى الى أن أطمع فى كرمك . أرجو أن تتفضلى بتسليم الخطاب المغلق لهنرييتا وثقى اننى خادمك الشاكر المطيع ، سورتيزكوك» ... سومرست .. (تدع الخطاب يسقط وتفض الخطاب المغلق وتقرأه بلهفة . اليزابث تلتقط الخطاب وتمزقه قطعا) كم الساعة ؟

اليزابث : الثانية والربع .

هنرييتا (فى صوت منخفض متوتر) : أتذكرين أن أبى هدد بطردى من البيت اذا لم أقسم بالانجيل ألا أراسل سورتيز أو أقابله ؟

اليزابث : نعم .

هنرييتا : (التى كانت تقلب ناظريها بينهما فى ذهول) لكن ما الموضوع يا با ؟

اليزابث : لا شيء . كل ما فى الامر — كل ما فى الأمر ان أبى لم يقابلنى منذ عشرة أيام منذ ذلك الوقت — أتذكرين ؟ و — مناظر الصفح دائما مرهقة .. (الى ويلسون بحدة) : دارى قبعتى وحرملتى . اسرعى . (ويلسون تفعل ذلك) .

هنرييتا : لا اصدق ان هذا هو كل ما فى الامر . انك بيضاء كالورقه . ماذا تعنى ويلسون ؟ با — هل هنـاك ما استطيع ..

اليزابث : (فى ليونه وحزم) : لا ، لا ، لا ، — لا تتكلمى — لا تسأليني شيئا .. انت لا تعرفين شـيئا . اتفهمين ؟ — لا شيء — لا شيء .

هنرييتا : لكن ..

اليزابث : كلا . (الى ويلسـون) هاتان البطـانيتان .. (ويلسون تلتقطهما . طرق على الباب ويلسون تلهث . اليزابث تتكلم فى همس) .
ادخل (تتنحنح ثم تقول بصوت اكثر ارتفاعـا) ادخل .

(باريت يدخل . الجميع يقفون فى حالة متوترة . اليزابث تسيطر على صوتها)

أبى .. لقد عدت مبكرا .

(باريت ــ يقلب نظره فى الثلاث دون أن يرد ، ثم يعبر الحجرة الى المدفأة . ويلسون وقد بدأ عليهـــا الفزع تتسلل من الحجرة والبطانيتان على ذراعها) .

باريت : (الى اليزابث) ماذا دهى هذه الفتاة ؟

اليزابث : ويلسون ؟

باريت : نعم .. وأنت ؟

اليزابث : لا شىء يا أبى ..

باريت : (بعد أن يحملق فيها لحظة . وهو يفكر ، يتحول الى هنرييتا) أين كنت ؟

هنرييتا : لم أذهب الى أى مكان .

باريت : الى اين انت ذاهبة ؟

هنرييتا : لتناول الشاى مع الخالة هيدلى .

باريت : أهذه هى الحقيقة ؟

هنرييتا : نعـــم .

باريت : أتذكرين قسمك ؟

هنرييتا : نعـــم .

باريت : هل ستحفظينه ؟

هنرييتا : نعـــم .

باريت : (بعد ان يحملق فيها لحظة) : اريد التحدث مع أختك ، يمكنك ان تذهبى .

(هنرييتا تخرج دون ان تنظر الى احد منهما ، اليزابث تجلس ساكنة تترقب .

باريت يمضى الى النافذة ، ثم يستدير ويتجـــه اليهـــا) .

أتدرين لماذا عدت مبكرا ؟

اليزابث (فى همس) لا ، يا أبى .

باريت (فى صوت منخفض جاف) : لأنى لم أعد أحتمل البعد اكثر من ذلك .. لقد انقضت عشرة أيام منذ قابلتك آخر مرة ..

اليزابث : وهل ألام انام على ذلك يا أبى ؟

باريت (بغيظ مكتوم) : أتجرؤين على توجيه مثـــل هذا السؤل الى ؟ ألم تكونى شريكة لاختك فى سلوكها الشائن ؟ ألم تشجعها ؟ ألم تساعديهـــا ؟ ألم تدافعى عنها ؟ وهل كنت تتوقعين ان تكونى

آمنة مطمئنة من سخطى ؟ (يسكت نفسه باشارة صارمة) لم آت للحديث عن ذلك — بل لأطرحه ورائى — لأنساه ، لأنساه .. أترى يا طفلتى كنت تعانين من التعاسة نصف ما كان يعانيه والدك فى تلك الأيام العشرة الأخيرة ؟

اليزابث : أكنت حزينا يا أبى ؟

باريت : اتظنين انى اكون سعيدا حين ابعد عنوة عن كل من احبهم فى هذا العالم ؟ أتدرين انى قضيت ليلة وراء ليلة استجمع كل عزيمتى لامنع نفسى من الحضور الى هنا لأسامحك ؟

اليزابث : أبى ..

باريت : أقول لك كل عزيمتى — كل احساسى بالواجب والحق والعدالة . لكنى اليوم لم أعد أحتمل أكثر من ذلك . شوقى الى وجهك وصوتك اصبح عذابا . وكان حتما على أن أحضر . انا لست قويا الى الدرجة التى يتصورها الناس عنى . كان حتما على أن أحضر وأنا أحتقر نفسى لانى حضرت — احتقر نفسى — أمقت نفسى ..

اليزابث : لا — لا ! تنهض فجأة وتضع يديها على كتفيه) أوه ، أبى ، ألا تستطيع ان ترى ، ألا تريد ان ترى مطلقا ان القوة قد تكون ضـــعفا ، وان احساسك بالعدالة والحق والواجب قد يكون باطلا وخطأ ؟

باريت : (بصوت أجش ، وهو يرفع يديها عن كتفيه) باطلا وخطأ ؟ . ماذا تعنين ؟ (يسكتها بسرعة) لا . اسكتى ، لا تردى على .. باطلا وخطـأ ؟ انك لا تدرين ما تقولين .

اليزابث : أبى ، بودى لو تستمع الى . انا ..

باريت : لا ..

اليزابث : لكن ، يا أبى ..

باريت : لا ، (يمضى الى النافذة ويقف عندها ووجهـه نصف متحول عنها . فترة سكون يستدير) لو كان فيما تقولين ذرة من الحق لاضحت حيـاتى سخرية بشعة . لقد كنت دائما — خـلال كل المصائب والويلات اهتـدى الى المعـرفة التى لا يرقى اليها الشك الى ما هو حق واقدم عليـه بلا تردد ، مهما تكن مرارة عواقبه .. وكانت

مريرة لدرجة لا يعلمها الا الله ! وكانت مصيبتى، أن أولئك الذين وكل الىّ أمر ارشادهم وقيادهم، كانوا دائما يحاربون الحق الذى كنت على يقين أنه الحق — والذى كان من واجبى أن أفرضه عليهم .. بل عليك وعلى امك ايضا .

اليزابث : (فى همس) : امى ؟ ..

باريت : نعم أمك .. لكن ليس منذ البداية .. أنت ، اكبر اطفالى ، ولدت من الحب والحب وحده .. اما الباقون — فكان الشقاق قد دب بينى وبين امك قبل ان يولدوا بوقت طويل . ليس لانها كانت تعارضنى — فهذا مالم يحدث قط أو لأنها كانت تفضح بما تحس . كانت صادقة حريصة على اداء واجباتها ومطيعة لكن الحب تلاشى — وحل محله — الخوف ..

اليزابث : (بحدة) : لا ! لا !

باريت : وهذا كله لانى رايت الحق وفعلته .

اليزابث : (فى صوت منخفض تنظر امامها) : اوه .. اوه يا الهى العزيز . أى عذاب قاسته ..

باريت : هى ؟ — هى ؟ .. وماذا عنى ؟ ماذا عنى ؟

اليزابث : عنك ؟ .. اوه ، يا أبى — ثم — كنت مازلت تحبها بعد أن مات حبها لك ؟ ..

باريت (فى صوت مكتوم ، ينظر جانبا) : حب .. ؟ ما هو الحب ؟ .. كانت زوجة لى .. انت — انت لا تفهمين ..

اليزابث (فى همس مذعور) : وكل هؤلاء الاطفال .. ولدوا .. فى خوف .. اوه ، هذا فظيع — هذا فظيع — هذا فظيع .. (فى تشنج بقشعريرة ، تغطى وجهها بيديها) .

باريت (فى دهشة وارتباك) : يا ، يا عزيزتى — لا تكونى — لا تكونى .. كان ينبغى الا أتكلم — كان ينبغى ألا أخبرك بكل ذلك .. انسيه يا طفلتى .. (يمضى اليها) ارفعى يديك عن وجهك .. (يلمس معصميها برفق) .

(تبتعد عنه ، وهى تحدقه بعينين جاحظتين وجلتين) .

لا تنظرى الى هكذا . (فى صوت منخفض غليظ ، وهو يتجنب عينيها) أنت لا تفهمينى . وأنى لك أن تفهمى ؟ انك لا تعرفين شيئا عن

قسوة العاطفة وجبروتها وكيف تقود أقوى وأطيب انسان الى الجحيم . هل حرضت أختك على ...

اليزابث : (فى عنف) حب هنريتا — كيف تجرؤ على الحديث عنه بنفس اللهجة ...

باريت : (بقسوة) حبها ! أيتها الحمقاء الصغيرة الجاهلة! ماذا تعرفين عن الحب ؟ الحب ! شهوة العين — وأحط رغبة ملحة للجسد ...

اليزابث (تهب واقفة) : لا أريد أن أستمع اليك .

باريت (قابضا على معصمها ويضطرها الى الجلوس ثانية على مقعدها) يجب أن تسمعى وسوف تستمعين . انه الوقت الذى دخلت فيه حقيقة صغيرة حلم حياتك ... أتظنين انى كنت أحرس بيتى كالتنين من هذا الشىء الذى يسمونه الحب لو لم أكن قد خبرت — من حياتى الخاصة — كل ما يورثه من قسوة وكراهية وخسة وتأنيب ضمير ؟ ... (يستجمع شجاعته) لقد صرعته فى نفسى بعون الله وخلال سنوات من الزهد المؤلم ، وسوف أبعده عن أولئك الذين وكل الى

أمر حمايتهم ورعايتهم طالما بقى بى نفس يتردد.
أتفهمينني ؟

اليزابث (فى صوت منخفض وهى تركز نظرها على وجهه) : نعم — أفهمك ... نعم أفهمك ...

باريت : حسن جدا .

(فترة سكون . اليزابث تجلس ساكنة تنظر الى الأمام . وحين يستأنف الكلام يتغير صوته) .

كانت هذه ضرورة بغيضة — كان على أن أتكلم — بصراحة — خوفا من أن تلوث سذاجتك الطهارة التى عزمت عزما قاطعا على الاحتفاظ بها فى بيتى ... وأنا — أنا أعفو عنك عفوا شاملا لأنى أشعر أن ما قمت به كان عن سذاجة وجهل .. يجب أن نطوى هذه الصفحة القبيحة — وننسى ما كان عليها ... (يأخذ يدها) انك باردة كالثلج ... لماذا ترتعدين ؟

اليزابث (تسحب يدها من يده) : لن أنسى ما قلت .

باريت : لن تنسى — لكن — ومع ذلك ، ربما يكون ذلك أيضا ... (فى الحاح مفاجىء) لكن بحق

الله ، يا عزيزتى لا تجعلى هذا يقيم حاجزا بيننا ؟ لقد أخبرتك كيف كنت أحس أنك بدأت تفلتين من بين أصابعى شيئا فشيئا طوال الشهور الأخيرة ... ان حبك هو الشيء الوحيد الباقى لى فى هذه الحياة .

اليزابث : كنت تملك حب أمى يوما ما . وكان يمكن أن تملك حب أطفالك جميعا .

باريت : نعم ، لو كنت مثلت دور الجبان ، والتمست أيسر الطرق ، وتخليت عن واجبى . انى أفضل أن أكون مكروها من العالم كله على أن أكسب حبا كهذا .

اليزابث (فى صوت متهدج) : أوه ، أبى إنك — انك لا تعرف كم أشفق عليك ...

باريت (بخشونة) : شفقة ؟ لا أريد هذه الشفقة ... ولكن لو حدث انى فقدتك أو فقدت حبك (يمسك يديها على غير رغبة منها) يا حبيبتى ، فى الأسبوع المقبل سنكون قد غادرنا هذا البيت . وأرجو ألا نعود اليه مطلقا . لقد بدأت أمقته . وفى بيتنا الجديد سوف يسود

التفاهم بيننا مرة أخرى . سيكون فى الريف القليل مما يسترعى انتباهك . لن يتدخل شىء أو انسان بيننا . (يضم هيكلها الجامد بين ذراعيه) يا طفلتى ، يا حبيبتى أتريدين أن أكون سعيدا . بوسعك أن تمنحينى أو تسلبينى السعادة التى لن أعرف سواها . يجب أن تتطلعى الىّ وتعتمدى على وتركنى الى . يجب أن تقاسمينى أفكارك ، وآمالك ومخاوفك ودعواتك . أريد كل قلبك وكل روحك ... (يضمها اليه بحنان ، تبتعد عنه ويكسو وجهها الخوف والألم) .

اليزابث : (وهى تنشج) : لا أستطيع احتمال هذا — لا أستطيع احتمال المزيد ... أبى دعنى ، أرجوك دعنى ...

(يفك ذراعيه وترتمى بعيدا عنه . وذراعها يغطى وجهها ، ينهض وينحنى عليها) .

باريت : سامحينى ، يا عزيزتى . لقد تكلمت أكثر مما ينبغى . لقد شططت بعيدا . سأتركك الآن .

اليزابث : (فى همس) : أرجوك ...

باريت : هل سأراك الليلة مرة أخرى ؟

اليزابث : ليس الليلة ...

باريت : سأصلى من أجلك .

اليزابث (كانما تحدث نفسها) : تصلى من أجلى ؟ ... الليلة ... (تستدير وتنظر اليه) نعم ، صل من أجلى الليلة — ان شئت ... (يقبل جبينها برفق، وينصرف . تمر لحظة وهى جالسة تنظر أمامها . ثم تدير عينين وجلتين فى الحجرة وتهمس) : يجب أن أرحل على الفور — يجب أن أرحل — يجب أن أرحل ... (تنهض بسرعة ، وتأخذ حرملتها وقبعتها من الصوان) .

(ويلسون تدخل ، متسللة قزعة ، البطانيتان على ذراعها) .

ويلسون : ذهب الى حجرة مكتبه .

اليزابث (تلبس قبعتها) : يجب أن نرحل الآن ، على الفور .

ويلسون : لكن — يا مس با —

اليزابث : على الفور . ساعدينى على ارتداء حرملتى .

ويلسون : (تفعل ذلك) : لكن العربة ليست هناك — لن تأتى قبل ساعة . علاوة على ...

اليزابث : فى هذه الحالة يجب أن تتجول فى الشوارع . لا أستطيع البقاء هنا أكثر من ذلك . أنا خائفة . أنا خائفة . احضرى حرملتك وقبعتك .

ويلسون : تتجول فى الشوارع ، يا مس ؟ لن تستطيعى — لن تستطيعى . هذا مع العلم بأن السيد فى البيت وقد يرانا خارجتين . بحق الله ، يا سيدتى ...

اليزابث : أين وضعت تلك الخطابات ؟ آه ، هنا ... (تبسطها فوق المنضدة) أحضرى حرملتك وقبعتك بسرعة .

ويلسون : لكن لو رآنا خارجتين .

اليزابث : لندع ذلك للظروف .

ويلسون : لكن ، يا مس باريت ...

اليزابث : لن يستطيع أن يمنعنى . لم أعد ملكا له . أنا ملك لزوجى . بوسع أبى أن يقتلنى ، لكنه لا يستطيع أن يمنعنى .

ويلسون : لا أجرؤ ، يا سيدتى ، لا أجرؤ .

اليزابث : اذن فلا بد أن أذهب بمفردى .

ويلسون : لن تفعلى ذلك .

اليزابث (باهتمام يدعو للاذعان) : ويلسون ، لقد جرت بين أبى وبينى أمـور تضطرنى الى ترك البيت على الفـور . حتى اليـوم لم أكن أدرك كيف اضطررت الى خداعه خداعا لا يغتفر . حتى اليوم — لم أكن أعرفه على حقيقته — انه ليس كسائر الرجال . انه يختلف عنهم اختلافا مروعا ... أنا — أنا لا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك ... لو شئت التراجع فليس ما يدعوك لأن تلومى نفسك . وفضلا عن ذلك فهذا أمر لا شأن لك به . أما أنا فيجب أن أرحل الآن .

ويلسون : سأحضر حرملتى وقبعتى على الفور ، يا مس .

(اليزابث تلف ذراعيها حول رقبة ويلسون وتقبلها) .

اوه يا مس با ...

(ويلسون تخرج مسرعة . اليزابث تبسط الخطابات فوق المنضدة . ثم تسحب خاتم الزواج الذى كان معلقـا فى شريط تخفيه فى صدرها . تضع الخاتم فى اصبعها ، تنظر اليه برهة ، تلبس قفازها . ويلسون تدخل

ثانيـــة ، بخفة وسرعة وعليهـا حرملتها وقبعتها) .

اليزابث : أنا مستعدة تماما . ويلسون ، احملى البطانيتين. ويحسن أن أحمل فلش .

ويلسون (لا هثة) : نعم . يا سيدتى .

اليزابث : والآن اهبطى الدرج بهدوء وتأكدى من أن باب حجرة المكتب مغلق .

(ويلسون تخرج ، تاركة الباب مفتوحا . اليزابث تلتقط فلش ، وتقف وهـو تحت ذراعيها ، وتدير عينيها فى الحجرة وعلى وجهها تعبير غامض) .

ويلسون تدخل ثانية .

ويلسون (فى همس) : الباب مغلق—وكل شىء هادىء .

اليزابث : حسن جدا .

(تخرج تتبعها ويلسون ، تغلق الباب وراءها بهدوء . تمضى برهـة والحجرة خالية ثم ينزل الستار ببطء) .

المنظر الثانى

يرفع الستار عن الحجرة الخاليـــة الساكنة ، مضت ساعة أو ساعتان . السماء تبدو من النافذة يملأها شفق الغروب . سكون ــ آرابل تدخل .

آرابل : (وهى تدخل) با ، يا حبيبتى ، أريد — (تنتبه الى خلو الحجرة وتنظر حولها فى حيرة ، تلمع عيناها حين تلمح الخطابات التى تركتها اليزابث. تتجه الى المنضدة وتنظر اليها . تاركة البـاب مفتوحا . تلتقط خطـابا ، وتهمس وهى بادية القلق) لى ... ما معنى هذا ... ؟ (تفتح الخطاب — وتقـرأه وهى تلهث وقد تملكها العجب) اوه .. ! لا ، لا .. ! تزوجت ! لا .. ! اوه .. ! اوه .. ! (ترفع عينيها عن الخطاب ، وجهها قد تغير من الذعر والدهشة ، ثم تجلس فجأة على الأريكة وتنخرط فى صراخ وقهقهة هستيرية . عاليـة .

(بعد لحظة تسمع أصوات ووقع أقدام فى الخـــارج ويدخل جـــورج ، وشـــارل ،

وأوكتافيوس فى وقت واحـــد ، جورج فى ملابس العشـــاء ، لـكن الباقين لم يكملا زينتهما) .

جورج : آرابل !

شارل : بحق الله !

جورج : آرابل ! ماذا دهاك ...

أوكتافيوس : مصائب ! يا الهى !

(آرابل تستمر فى الضحك) .

جورج : (يمسك احدى يديها ويضرب عليها) كفى عن هذا . آرابل . كفى عن هذا على الفور .

آرابل : (وهى تلهث وصرخ) : تزوجت — ذهبت — تزوجت — ذهبت — (تنخرط فى قهقهة عالية مرة أخرى) .

جورج : سكتى ! (يصفع يدها مرة أخرى) احضروا ماء — أحدكم ....

أوكتافيوس : ماء الكولونيا ...

(الفريد ، وســـبتيماس وهنرى ، يدخلون مسرعين أثنـــان منهما فى ملابسهما الكاملة والثالث بلا ياقة) .

الفريد : ماذا حدث ؟

هنرى : آرابل ! هل يا متعبة ؟

آرابل : (لاهثة) : تزوجت — رحلت — تزوجت — رحلت ...

(هنرييتا تدخل وعليها حرملتها وقبعتها . تقف لحظة ، ترقب المنظر بعينين جاحظتين) تزوجت ورحلت .. تزوجت ورحلت .. (تنتحب وتنشج) .

(يبـــدو على الاخوة أنهم بدأوا يدركون الأمر) .

شارل : ماذا تعنى ؟ أين يا ؟

سبتيماس : تزوجت ورحلت — انها مجنونة !

جورج : (يمسك آرابل من كتفها) : آرابل ماذا تعنين ؟

أوكتافيوس : تزوجت ... !

(هنرييتا تدفعهم جانبا فجأة ، تمسك كتفى آرابل وتهزها بعنف) .

هنرييتا : آرابل ! آرابل ! فيقى فى الحال ! أين يا ؟ ... ردى على ! ... أين يا ؟

آرابل : (لاهثة) : تـ — تـ — تزوجت مستر روبرت براوننج ...

هنرييتا : (فى همس) : تزوجت ...

(الفزع يسود الأخوة .. عبارات الدهشة والتعجب) : —

« تزوجت ! » — « تزوجت » — « لا يمكن أن يكون هذا صحيحا ! » — «روبرت براوننج»! — « يا الهى الرحيم ! » ...

هنرييتا : (لآرابل التى ما تزال تنشج) : أين هى ؟

آرابل : ذ — ذهبت ... تلك الخطابات — كتبتها لـ — لنا جميعا ... ورحلت ...

(أوكتافيوس ينقض على الخطابات) .

أوكتافيوس : لـ — لك (يناول الخطابات لهنرييتا) .

(تفضه وتقرأه) .

جورج — هنرى — الفريد — سبتيماس — شارل . (يسلم كل منهم خطابا يفضه بسرعة ويقرأه ويتمتمون بعبارات التعجب : — يالهى الرحيم !) — « مستحيل ! » — « تزوجت ! » — « منذ أسبوع » —

جورج : نعم ، تزوجت يوم السبت الماضى .

أوكتافيوس (ممسكا خطابا) : وهذا الخطاب لأبى .

(صمت مخيف يهبط عليهم . هنرييتا وحدها تنظر الى الأمام وعلى وجهها ابتسامة غامضة) .

آرابل (فى همسة مرتجفة) : أبى ... أبى ...

سبتيماس : أهو بالبيت ؟

جورج : يرتدى ملابس العشاء .

أوكتافيوس : ما العمل ؟

هنرى : لابد أن يسلمه أحدنا خطاب با .

هنرييتا : (فى صوت جلى) دعنى أنا . انى أود ذلك .

آرابل (فى همسة وجلة) : اوه . اسكتى — اسكتى .. (تشير فى رجفة الى الباب . الجميع يمسكون أنفاسهم . فى فترة سكون يسمع صوت أقدام تقترب . ثم يظهر باريت عند عتبة الباب فى ملابس السهرة . ينظر الى عائلته المحتشدة فى دهشة بالغة ، الجميع لا يتحركون) .

باريت : ما معنى هذا ؟

(لا يتحرك أحد منهم أو يجيب) .

من الذى كان يحدث هذه الجلبة المزعجة الآن ؟

(لا يتحرك أحد منهم أو يجيب) .

لماذا لا ترتدون ملابسكم الكاملة أيها الرجال ؟

(لا يتحرك أحد منهم أو يجيب . صمت . يقول فى حدة) :

أين اليزابث ؟

(سكون . يدخل الحجرة . فى صرخة مكتومة تنهض آرابل وتتعلق بذراع هنرييتا) .

ألا تسمعوننى ؟ ... (الى هنرييتا) أين أختك ؟

هنرييتا (تتخلص من آرابل وتلتقط الخطاب) : تركت لك هذا الخطاب .

باريت (دون أن يلمسه ، فى صوت منخفض . وجهه يصبح كالقناع) : تركته لى ... ماذا تعنين ؟

هنرييتا : تركت خطابات لنا جميعا . هذا خطابك .

(عيناه تتسمران على وجهها . يأخذ الخطاب منها . تمسك بذراعه فجأة وهو على وشك أن يفتح الخطاب .

(بتأثر وتوسل) : أبى — يجب أن تسامحها — ليس من أجلها — بل من أجلك ! كنت أظن أنى كرهتك . ولكنى لم أكرهك . انى أشفق عليك — انى أشفق عليك ... واذا كنت تشفق على نفسك

فسامحها ... (ينظر اليها لحظة فى حزم ، ثم يبعدها عنه . يفض الخطاب ويقرأه ، لا شيء يكشف عن الانفعالات المتأججة فى نفسه سوى أنفاسه المتلاحقة . وحين يرفع وجهه عن الخطاب — بعد الانتهاء من قراءته يبدو كالقناع الأبيض. يقف جامدا ينظر أمامه ويطوى الخطاب أكثر من مرة فى حركة آلية — يتحول ويسير نحو النافذة، وتوحى مشيته — الى حدا ما — بأنه أعمى . يدفع النافذة بعنف ويقف أمامها وظهره الى الحجرة ويداه مشبكتان وراء ظهره وممسكتان بالخطاب . حركات كتفيه تبين أنه يتنفس بسرعة وصعوبة . لا أحد يتحرك .

باريت : (كأنما يتحدث الى نفسه ، يتحول عن النافذة): نعم — نعم — كلها ... (ابتسامة يقصر الوصف عن قبحها ترتسم على وجهه) . نعم — سأنتقم من كلبها ... أوكتافيوس .

أوكتافيوس : سمعا ؟

باريت : كلبها يجب أن يعدم ، على الفور .

هنرييتا : لكن .

باريت : (يرتفع صوته قليلا) : ستأخذه الى البيطرى — الليلة ... أتفهمنى ؟ ... الليلة (فترة سكون) أتفهمنى ؟

أوكتافيوس : (فى يأس) : فى الحق لـ — لا أرى ذنبا ارتكبه هذا الحيوان المـ — مسكين حتى ...

باريت : (متوعدا) أتفهمنى ؟

هثرييتا (تحاول عبثا أن تسيطر على نغمة الانتصار فى صوتها) : كتبت فى خطابها الى أنها أخذت فلش معها ...

(سكون . باريت يستمر فى مكانه ، يحملق أمامه . وفى حركة آليـــة يمزق خطـاب اليزابث قطعـــا صغيرة تتساقط عنـــد قدميه) .

النهـــــايه

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٤٣ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢	أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	مروحة ليدى وندرمير	أوسكار وايلد
٥	بنيلوبى	سمرست موم
٦	الغربان	هنرى بك
٧	اليكترا	جان جيرودو
٨	توركاريه	ا . ر . لوساج
٩	الدائرة	سمرست موم
١٠	شاترتون	الفرد ديفينى
١١	الأم	كارل تشابك
١٢	اللعبة الغادرة	جون جالزوردى
١٣	لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦	عزيزى بروتس	ج . م . بارى
١٧	رجل الله	جابرييل مارسل
١٨	هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩	سباق المشاعل	بول هارڤييه
٢٠	كنوك	جول رومان
٢١	جونو والطاووس	شين أوكاسى

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٢٢	دون جوان	موليير
٢٣	بيت برناردا ألبا	فدريكو غرسيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥	مأساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨	ماتعرفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩	أهمية أن يكون الانسان جادا	جيمس بارى
٣٠	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت برشت
٣١	منزل القلوب المحطمة	جورج برنارد شو
٣٢	القيثارة الحديدية	جوزيف أوكونور
٣٣	أفكار صبيانية	نويل كوارد
٣٤	زوجة مستر تانكرى الثانية	آرثر وينج بنيرو
٣٥	عندما نبعث نحن الموتى	هنريك آبسن
٣٦	لا وقت للفكاهة	س ٠ ن ٠ بيرمان
٣٧	سيجفريد	جان جيرودو
٣٨	علماء الطبيعة	فريدرش دورنمات
٣٩	رغبة تحت شجر الدردار	يوجين أونيل
٤٠	حورية البحر	هنريك ابسن
٤١	جزاء خدماتهم	سومرست موم
٤٢	ايولف الصغير	هنريك ابسن
٤٣	بلياس وميليزاند	موريس ماترلنك
٤٤	الاله الكبير براون	يوجين اونيل
٤٥	حاملة المصباح	رجنالد بركلى

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج مؤسسة الخانجى بالقاهرة
وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »
ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت ٠